



سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء الثامن

القوة «رع» هو سيد «ماعت» ومختار «آمون» بن «رع» المتوج: «رع» ماعتي قد أنجبه، محبوب «آمون»، ومحبوب «آمون رع» ملك الآلهة «حوراختي»، و«بتاح» العظيم الذي في جنوب جداره، صاحب «منف»، ومحبوب «موت» و«خنسو» ومحبوب «مين» و«حور» و«إزيس»، معطي الحياة.

مديح الملك: (٣) وإنه إله طيب ذو تصميمات صائبة، وهو ملك يعلو اسمه حتى عنان السماء، ويشرق في القصر مثلما يضيء «حوراختي» البلاد بنوره، ومن والدته «إزيس» قد ثبتت على جبينه (وإزيس هنا تمثل الصل الذي على جبين الفرعون) وكل ما يحميه آتٍ عن طريقها (٤) والخوف الذي ينبعث منها ينفذ في أجسام الرجال. وكل إنسان يلتفت نحوه عندما يظهر، وتنشرح القلوب عندما يعلن نفسه مثل النيل عند بداية ميقاته (المحدد).

ومن أنجبه سيد العالمين، وهو بذرته التي مكنها على عرشه ليكون ابنه المحبوب كثيراً، ووارثه على الأرض، وقد جعله يظهر على سلم العرش بوصفه ملك البلاد عندما اتحد الصلان على رأسه (جبينه).

وقد جعله الآن يسير إلى محرابه «برور» (البيت العظيم) ليقدم «ماعت» يومياً. وإنه ملك شجاع يخرب الأراضي الأجنبية، ويقضي على الآسيويين في وديانهم، وإنه مقدم، وقوي، وشجاع في هذه الأرض. ومنذ وصلت البلاد إلى عهده بدأ العصر السعيد الذي حل بمصر مثل عصر «رع» في زمن ملكه.

خواص هذا العهد: وعلى ذلك فإن هذا الإله الطيب هو صورة الإله «تحت» في قوانينه، وإنه قد خرج من جسد رب العالمين، وعندما يكون الصل على جبينه فإن سلطانه يمتد حتى عنان السماء، وإنه خالق العدالة، ومهلك الظلم، وهو ملك يعمل على إقصاء الكذب

وعلى أثر اعتلائه عرش الملك نجد أنه قد شرع في إقامة معبده الجنائزي أمام معبد الملك «آي» والفرعون «حور محب».

وأخيراً وجد في هذه المعابد ودائع أسس خاصة بالفرعون «رمسيس الرابع» (راجع R. Anthes Holscher. Orient, Instit etc., The Excavations of Medinet Habu Vol. II. The Temple of the 18th Dyn. p. 114-117 & pl. 58).

وإنه لمن الخطر أن نستنبط نتيجة من توافق هذه الأشياء، ولكن — مع ذلك — لم يكن بد من ذكرها هنا، والتبصر بما تنطوي عليه.

عن البلاد، وجعلها في هدوء في أثناء ملكه، وكل ما يشرع في عمله ينفذ تمامًا، ويفلح. وإنه ملك يذهب على حسب مشيئته؛ لأن لديه القوة، ونشاطه عظيم. ليته يجعل مصر تتمتع «بالملايين» من المرات.

ولما كان لبه يقطاً باحثاً عما يفيد والده الذي برأ جسمه، فإنه قد فتح طريقاً لأرض الإله لم يعرفها أحد ممن عاش قبله، وهي طريق كانت أنظار الناس قد أخطأتها إذ لم يعرفوا كيف يتخللون الوصول إليها.^{٢٩}

الرحلة الملكية: وكان جلالته ذا قلب بصير؛ لأن لب والده «حور» بن «إزيس» قد أرشده إلى الطريق المؤدية إلى الغاية التي ينشد الذهاب إليها. (١٠) وقد اخترق المحاجر الثمينة ليقيم أثراً فاخراً لوالده (يقصد آمون رع) ولآبائه كل آلهة وإلهات مصر، وقد أقام لوحة (يحتمل أنها هي التي أقامها في «وادي حمامات»، وقد تكلمنا عنها فيما سبق) على قمة المحجر،^{٣٠} وقد نقشت بالاسم العظيم لملك الوجهين القبلي والبحري «رع سيد ماعت» الذي اختاره «آمون» بن «رع» «رع ماعتي»، قد أنجبته محبوب «آمون».

البعث كان محصوراً في الفحص: وعندئذ كلف جلالته كاتب بيت الحياة (المسمى «رعمسيس-عشا-سد»، وكاتب الضياع المقدسة «حوري»، وكاهن معبد «مين» و«حور»

^{٢٩} ومن هذا يمكن الإنسان أن يقرر الخصائص التي امتاز بها حكم «رعمسيس الرابع» فقد كان ملكاً مشرعاً، وأعاد كذلك النظام إلى البلاد، وقضى على الثورات المحلية، ثم أخذ في إقامة المباني الدينية.

^{٣٠} ويفضل الأستاذ «جاردنر» (J. E. A. Vol. 24. p. 126. Note 2.) أن الملك لم يذهب إلى محاجر «وادي حمامات»، وحجته الرئيسية في ذلك هو عدم وجود وثيقة صريحة، تحدثنا عن ذلك. حَقّاً إن النقوش رقم (٢٤٠) غير محددة في معناها وليس فيها ما يثبت حضور الملك، غير أنه مع ذلك من الغريب أن نلاحظ أن الخمسة عشر سطراً من المتن لا تشير إلى أحد غيره. وليس فيها اسم أحد سواه، واللوحه التي نحن بصدها أكثر وضوحاً إذ جاء فيها: «أنه اخترق المحاجر الثمينة». وكل الأحوال تدل على أن الفرعون قد قام بالسياحة فعلاً إلى «وادي حمامات»؛ ليشرف بنفسه على اختيار المواد التي كلف «رعمسيس نخت» إحصارها بعد سنة ونصف سنة من تاريخ اللوحه. ومع أن الملك هو الذي يتحدث كما يقول الأستاذ «كريستوف» إلا أن ذلك ليس بالبرهان القاطع على أنه كان قد ذهب فعلاً مع الحملة؛ وذلك لأن كل الأعمال الجليله التي كانت تذكر في المتن المصريه ينسب القيام بها عادة إلى الفرعون، سواء أكان هو الذي قام بها فعلاً أو كلف أحد عظماء رجاله القيام بها، وأهم مثال يمكن أن نضربه في هذا الصدد هي الحروب التي تنسب للفرعون «توت عنخ آمون»، مع أن الذي قام بها فعلاً هو القائد «حور محب»، وكذلك مغامراته في الصيد والقنص التي دونها على آثاره، فقد كانت سنه لا تسمح له بها قط (راجع مصر القديمة ج٥).

و«إزيس» في «قفط» و«سر ماعت رع نخت» للبحث عن مواد لأجل «مكان الصدق»^{٣١}، في مناجم حجر «بخن» بعد أن وجد أنه ممتاز في جماله، وأنه سيكون آثارًا عظيمة مدهشة.

بعث «رمسيس نخت» وتأليفه: وبعد ذلك قرر جلالتة أن يكلف الكاهن الأعظم «لأمون»، ومدير الأعمال «رمسيس نخت» صادق القول، نقلها إلى مصر. وهاك أتباع الملك والعظماء الذين رافقوه: تابع الملك «وسر ماعت رع سخبر»، وتابع الملك «نخت آمون» ونائب قائد الجيش «خعمر» ومدير الخزانة «خعمر»، ومدير الضرائب، وحاكم المدينة «أمموسي»، ورئيس الضرائب والمشرف على قطعان ضيعة «رمسيس السادس» «باكخنسو»، وضابط الفرسان «نخت آمون»، وكاتب جنود القتال «سول»، وكاتب نائب قائد الجيش «رمسيس نخت» وعشرون كاتبًا حربيًا، وعشرون رئيس إصطبلات القصر، والضابط قائد رؤساء كتائب الجيش «خعتمال» وعشرون رئيس كتيبة، وخمسون سائق عربة من الفرسان، ورئيس كهنة، ومدير قطعان، وكهنة، وكتيبة، ومفتشون مجموعهم خمسون شخصًا، وخمسة آلاف جندي، وبحارة تابعون لجماعات صيادي الملك، وعددهم مائتان، وثمانمائة جندي من المرتزقة (عابرو) من قبيلة «عنيت»، ومائتا رجل من الضياع المقدسة، ومن أملاك الملك، ونائبًا شرطة، وخمسون شرطيًا، ورئيس الصناعات «نخت آمون»، وثلاثة من رؤساء العمال لأجل أعمال المناجم، وثلاثون ومائة حمال، وقاطع أحجار، ورسامان، وأربعة من الحفارين، ويطرح من^{٣٢} هذه القائمة تسعمائة متوفى، فيكون المجموع ٨٣٦٨ شخصًا.

^{٣١} نعت عام يطلق على المعبد الجنائزي للفرعون «رمسيس الرابع». ويقول «كرستفل»: إن هذا المعبد لم يكشف عن بقاياه بعد، ومن المحتمل أن يكشف في المستقبل عن بعض قطع حجر بخن من التي حلها «رمسيس نخت» فتحدد لنا مكان هذا المعبد.

^{٣٢} ومن ذلك نفهم أن تسع البعث قد اختفى في أثناء الرحلة، وهذه النسبة العالية ترجع إلى عدم أمان الطريق وإلى الحوادث التي كانت في أثناء قطع الأحجار وجرها. هذا إلى أن ثمانية آلاف رجل تقريبًا كانوا يسكنون مدة شهر في إقليم صحراوي قاحل تمامًا.

والآن هل ينبغي لنا أن نضيف تسعمائة الشخص السالفي الذكر أو نحذفهم من المجموع الكلي وهو ٨٣٦٨، وقد اختلف الباحثون في ذلك، فيقول كل من «بركش» و«بيري» و«ويجل» و«برستد» و«ليفير» و«مونتيه» بإضافة هذا العدد، ولكن «إرمان» يعتقد بوجوب حذفها من المجموع الكلي. والظاهر أن

بعث «رعمسيس نخت» أداة النقل: ونقل الأشياء الضرورية من مصر، بالماء وبعشر عربات، وبعربات أخرى تجرها ستة أزواج من الثيران، وقد سارت كلها من مصر حتى منجم حجر «نخن»^{٣٢} وكان يوجد حمالون عديدون يحملون خبز «عقو» وقطع لحم،

الرأي الأخير هو الصائب. والترجمة الحرفية لهذه العبارة هي: «الأموات الذين أبعادوا عن هذه القائمة، أي إن الأموات لم يحسبوا هنا. وقد جاء الخطأ من تفسير هذه العبارة بسرعة زائدة، ويجب أن نبحت الموضوع بنظام.»

فإذا جمعنا دون احتساب التسعمائة وجدنا المجموع ٨٣٦٢ شخصًا، وقد انتقد المصريون كثيرًا لخطئهم في ست وحدات، والواقع أن القائلين بإضافة المتوفين التسعمائة قد نسوا أن ذلك يزيد في خطئهم لدرجة عظيمة لا يمكن معها أن ننسب إلى الكتاب المصريين جهلاً كهذا بالحساب. ويمكن أن نعترض بأن الكتاب المصريين قد عرفوا عدد المفقودين في القائمة نفسها، وأنهم كانوا على علم بحالة البعث يوميًا، فكانوا يحذفون اسمًا، ويغيرون عددًا في كل مرة يموت فيها شخص؛ وعلى هذا فإن العدد ٨٣٦٨ هو عدد مصحح؟

والجواب على ذلك سهل، فمن المؤكد أن الصنفين الكبيرين العدد من الرجال هما الجنود وهيئة عمال الضياع المقدسة وأملاك الفرعون، وهم الذين كانت تحدث فيهم الوفاة بكثرة، ويؤكد لنا ذلك أن اللوحة ذكرت لنا فيما يخص هؤلاء أن عدد الجنود كان خمسة آلاف، وأن عدد الآخرين كان ألفين، فهل في الإمكان القول بأن هذين العددين قد صححا؟

وما الذي كان يتطلبه الكتاب؟ هو أن تفصل الموتى في قائمة تحفظ جانبًا، ثم تعمل عملية حسابية بسيطة، وهي أن يطرح من المجموع الكلي تسعمائة شخص؛ وذلك لأنه لا يمكننا أن نمحو الأسماء أو نغير الألقاب.

والجملة التي عليها النقاش يجب أن تعد جملة معترضة، وقد قلنا من قبل: إنه قد نسخ من «وادي الحمامات» القائمة الخاصة بأعضاء الحملة التي كانت قد وضعت في «طيبة» قبل قيام البعث، وقبل تدوين المجموع أشير من باب الدقة برقم مستدير إلى أولئك الذين كانوا قد فقدوا في هذا التاريخ. وقد أعلن كل واحد من قبل، وأنه من الجائز أن يحذف الأموات من كل صنف من رجال البعث، أو يحذف تسعمائة من المجموع لمعرفة عدد الأشخاص الذين عادوا من «وادي الحمامات»، وبعد ذلك نقش المجموع الأصلي لأسباب خاصة:

أولاً: كان الغرض أن يذكر أكبر عدد ليحرك خيال من لم يقرأ التفاصيل مكتفياً بقراءة العدد الكلي. وعلى ذلك نعلم أنه عند الرحيل من «طيبة» كان عدد البعث ٨٣٦٨ شخصًا، ولكنهم أصبحوا حوالي ٧٥٠٠ شخصًا عندما غادروا «وادي حمامات» ...

^{٣٢} ومن المحتمل أن الكبراء الذين كانوا مع الحملة قد ذهبوا بطريق الماء من «طيبة» حتى «قفط» وسائر الحملة قد سارت مع العربات المحملة بالمواد وبالمؤن، ومهما كان شح المصري واقتصاده في المطعم فلا يمكن الإنسان أن يتصور بسهولة عدد الرغفان اللازمة لإطعام ثمانية آلاف شخص مدة

وخبز «شعي» لا يُحصى، وقد جُلِبَت كذلك القربان لإرضاء آلهة السماء من «طيبة» وكانت قد طهرت تطهيرًا عظيمًا، وحملت على الأكتاف؟ ...

بعث «رمسيس نخت» الحفل الديني: وقد نحرت ثيران «ايوا»، وذبحت ثيران «انجو»؛ وقطران ... وشراب «شدح»، والنبذ متدفق كالماء، واللبن والجعة قربتا في هذا المكان، وكان صوت الكاهن المرتل يدوي عند تقديم القربان المطهرة للآلهة «مين» و«حور» و«إزييس» (٢٣) و«آمون» و«موت» و«خنسو» و«بتاح» وآلهة الجبل كلهم، وقد تسلموا بقلوب راضية القربان، وأعطيت مئات الآلاف من أعياد «سد» لابنهم المحبوب، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «رع» هو سيد العدالة مختار «آمون» رب التيجان، «رع ماعتي» قد أنجبه محبوب «آمون» معطي الحياة سرمدًا.

الجيش المرافق لبعث «رمسيس نخت»: وقبل أن نترك هذا البعث يجب أن نتحدث بعض الشيء عن تكوين هذه الحملة وبخاصة من الوجهة الحربية.

الجنود والبعوث إلى المحاجر: فسر «مونتيه» وجود الجنود في البعوث إلى «وادي حمامات» بأنهم كانوا يُستعملون في نقل الأحجار. وهذا الرأي يجب أن يرفض رفضًا باتًا للأسباب التالية:

(١) تشمل البعوث إلى المحاجر نادرًا جيشًا حارسًا لها فنجد «حنو» في الدولة الوسطى. (راجع مصر القديمة ج ٣) و«رمسيس نخت» في عهد الرعامسة هما القائدان الوحيدان على ما نعلم، اللذان صحبا معهما جنودًا عاملين ولم يستعمل «حنو» هؤلاء الجنود في الذهاب إلى «وادي حمامات» وحسب، بل كذلك لرحلة أكثر مشقة قام بها على ساحل البحر الأحمر. وفي عهد «رمسيس الرابع» الذي نحن بصده الآن كان هؤلاء الجنود ضروريين لاختراق إقليم لا يزال مليئًا بذكرى الحروب الحديثة العهد.

(٢) إن كلمة جنود التي تستعمل عادة للمحاربين قد تستعمل أحيانًا لتدل على العمال عندما نتحدث عن حملة إلى محاجر.

(٣) لم يكن أهل بدو الصحراء الشرقية على ما يظهر معادين للمصريين.

شهر تقريبًا. والظاهر أن العربات كانت تحمل سلات من الحب لتصنع خبزًا في الطريق وغيره، ومن المحتمل أن قطيعًا صغيرًا خاصًا بالأشراف والعظماء كان يتبع هذه العربات ويسير خلفها. و«وادي حمامات» مكان قحل، من أجل ذلك كان لا بد من حمل علف للماشية لخلوه من المراعي.

الرئيس الأسمى للفرقة: يأتي في المنزلة الرابعة بعد الكاهن الأكبر «لامون»، والتابعين الملكيين في القائمة «خعمتر»، الذي يحمل لقب نائب قائد الجيش وله كاتم سره الخاص الذي يدعى «رعمسيس نخت»، وهو شخصية لها مكانة عظيمة (وترجم هذا اللقب «جاردنر» كاتب التوزيع).

وظيفة «خعمتر» الاجتماعية عظيمة لدرجة تجعلها في المكانة الأولى في هذا النظام الحربي، ويمكن أن تحل محل قائد الجيش.

الجنود ورؤسأؤهم: والظاهر أنه كان لا بد «لرعمسيس نخت» ليخترق إقليماً تحيط به المخاوف بعض الشيء من مصاحبة وحدة حربية سنطلق عليها «فرقة» وقوامها خمسة آلاف رجل.

وكانت القيادة الفعلية لهذا الفيلق في يد ضابط قائد رؤساء فيلق الجيش، ولم يغفل كاتب اللوحة عن ذكر اسمه وهو «خع ممال».

وكان الفيلق يحتوي على عشرين كتيبة كل منها يشمل مائتين وخمسين رجلاً وكل كتيبة يقودها رئيس الكتيبة.

وكانت الكتيبة تقسم فرقاً تحتوي كل فرقة على خمسين رجلاً، ولم تذكر لنا اللوحة رؤسأؤهم.

الإدارة الحربية: وكان لكل فيلق إدارة خاصة تدير شئونه بكل دقة، فكان له كاتب الفرقة، وكاتب الجنود يُعد موظفاً كبيراً. وقد ذُكر في اللوحة قبل الرئيس الحقيقي. وكان الكتاب الحربيون تحت إدارة كاتب الجنود ولم نصادف كاتباً خاصاً بالكتيبة.

فرسان العربات: تدل شواهد الأحوال على أن وجود قسم للعربات في الحملة التي قام بها «رعمسيس نخت» يوحي بأنه كان يوجد في العادة مع فيلق المشاة طائفة من المحاربين الفرسان بالعربات. وإذا كانت هذه النظرية صحيحة، فإنه كان يوجد مع فيلق المشاة المؤلف من خمسة آلاف جندي خمسون سائق عربة، ويظهر أن هذه النظرية مقبولة، والمعلوم أن سلاح الفرسان كان رفيع المكانة ولذلك كان قليل العدد، وقد كان ضباطه على اتصال وثيق بالقصر الملكي، ومن المحتمل أن الفرسان والخيول والعربات كانت تتخذ مأواها بالقرب من مقر الملك، فليس لدينا ما يمنع من أن نعد لقب سائق مقر الملك، ورئيس إصطبلات مقر الملك بمثابة ألقاب حقيقية لا ألقاب شرف يُمنحها أقارب الفرعون أو بعض رجال الحاشية، فقد كانت هذه في الواقع رتباً حقيقية يُمنحها أولاد الأسر الكريمة الذين اختاروا لأنفسهم الانخراط في سلك الجيش. ويلاحظ هنا أن المجند

كان يمر أولاً في دور التمرين قبل أن يكون فارساً بالمعنى الحقيقي (راجع مصر القديمة ج٥).

وقد كان قسم الفرسان يحتوي على خمس وعشرين عربة قتال؛ أي لكل عربة رجلان وكان يقود هذا الجزء فارس بلقب «سائق عربة القصر»، وقد كان يدعى «نخت آمون» في خلال حملة «رمسيس نخت».

وكانت كل عربة وخيلها وسائقها على ما يظهر تحت إدارة صف ضابط يلقب «رئيس إصطبل المقر»، أو من المحتمل أنه كان يبقى في أثناء القتال في معسكر، غير أنه كان يقوم بدور هام في العناية بالخيل والعربة. ويلاحظ أن اللوحة لم تذكر إلا عشرين.

الشرطة: كان للجيش دور هام خاص محدد غير أنه من الجائز أن ينسب الشجار بين العمال، فكان على رجال الشرطة أن يفصلوا فيه، وقد كان يصحب الحملة خمسون من رجال الشرطة، وكان هذا العدد كافياً للمحافظة على الأمن بين ثلاثة آلاف عامل، هذا مع العلم بأن الجيش كان لازماً عليه أن يتدخل بقوة في الأمور الخطيرة. والظاهر أن «رمسيس نخت» كان يرافقه قسم من رجال الشرطة، وهكذا نجد أن مبدأ تأليف كل فصيلة من خمسين رجلاً كان متبعاً، ومن الجائز أن الكتيبة في الشرطة كانت تتألف من نفس العدد الذي تتألف منه في المشاة وهو مائتان وخمسون. أما موضوع قيادة رجال الشرطة، فموضوع دقيق وليس لدينا في متن هذه اللوحة معلومات مباشرة يمكن الاعتماد عليها، ويمكن أن نستخلص بعض الحقائق عن ذلك من متون أخرى، فمثلاً نجد في الأثر الخاص بالنسب وهو المحفوظ الآن بمتحف «نابولي» (راجع مصر القديمة الجزء السادس): الرئيس الأعلى للشرطة «أمنحت» ... «يقول للنواب الكبار الذين على رأس الشرطة ولكل شرطة هذه المدينة ...»

ومن المتن السابق نفهم أن رئيس الكتيبة (?) هو النائب الكبير، وهذه طريقة لإظهار العلاقات الوثيقة التي توجد بين الرئيس ومروسيه، وهذا شرط لا بد منه لحسن سير العمل في مصلحة هامة من مصالح الدولة؛ فالضابط لا يصدر أوامر بل يحل محل رئيسه على رأس الكتيبة. والآن يمكن أن نعود إلى النقش فيجب أن نعد النائب بمثابة رئيس كتيبة (?) الشرطة وهو يمثل شخصياً الضابط رئيسه ولكنه ليس الرئيس المباشر للخمسين شرطياً.

ولا نزاع في أن هذه البعثة إلى «وادي حمامات» كانت تعد أكبر بعثة أرسلت إلى تلك الجهات حتى الآن. وكان قد أرسل «منتو حتب الثالث» حملة عظيمة يبلغ قوام

رجالها نحو ثلاثة آلاف رجل، ولكن «منتو حتب» يمتاز بأنه قد مهد الطريق وعبدها من «قفت» حتى البحر الأحمر، ومن ثم أصبح في مقدور أخلافه إرسال البعثات إلى هذه الأصقاع الوعرة. (راجع مصر القديمة ج ٣).

(٢-٣) معبد خنسو

بدأ الفرعون «رعمسيس الثالث» إقامة معبد «خنسو» بالكرك، غير أنه لم يتمه، وقد استمر في إنهاء عمارته ابنه «رعمسيس الرابع» فبنى الحجرات الخلفية بما في ذلك حجرة العمدة الصغيرة، وقد نقش عليها الإهداء التالي:^{٣٤} «رب الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون» بن «رع» رب التيجان «رعمسيس مري آمون» لقد أقامه تذكراً لوالده «خنسو» رافعاً له معبداً سامياً جميلاً باقياً سرمدياً».

القربان التي يقدمها «رعمسيس الرابع» في الأحفال لثالوث «طيبة» بمعبد «خنسو»

ويلاحظ الزائر لمعبد «خنسو» بالكرك أن محراب السفينة المقدسة قد أحيط بممر زخرفت كل جدرانه بمناظر وكتابات من عهد «رعمسيس الرابع»، ويلفت النظر أن الجدران الغربية لم يكن قد تم زخرفة الجزء الأعظم منها، ولكن على العكس من ذلك نجد أن الجدران الشرقية قد نقشت كلها بمناظر يظهر فيها الفرعون يقدم القربان لآلهة مختلفين،^{٣٥} فنشاهد على الجدار الجنوبي في الصف الأسفل أعظم منظر في مجموعة هذه المناظر الخاصة «لرعمسيس الرابع»، إذ نشاهده أمام أربع موائد قربان قد حملت بالقربات السخية تعظيماً لثالوث «طيبة» راجع ما كتبه «جكييه» عن هذا المنظر (Jequier. l'Architecture et decoration dans l'Ancienne Egypte t. II. Le Temple Rame- (sides et Saite, Pl. 72 (2)).

^{٣٤} راجع: Champ. Notices II p. 239.

^{٣٥} راجع: Porter & Moss Vol. II P. 82 حيث نجد أن نقوش السقف قد نسبت خطأ إلى «رعمسيس التاسع» بدلاً من «رعمسيس الرابع» فلتصحح.

ويلاحظ أن هذا المؤلف لم يقدم لنا هنا إلا الجزء الأيسر من المنظر، ويشاهد الملك في هذا المنظر يقوم بتأدية الحفل الشعائري المعروف عند المصريين القدامى: «القربات التي يقدمها الملك» وقد حفظ على الجدار حفظاً تاماً (انظر الصورة في Bull. De l'Institut. (Franc. Tome XLVIII, Pl. I).

ثالث طيبة: فنشاهد «أمون رع» و«موت» و«خنسو» واقفين في الجهة اليسرى خلف مائدة القربان، وقد كتب أمام «بتاح» و«أمون رع» المتن التالي: ما قاله «أمون رع» سيد عروش الأرضين لابنه الذي يحبه سيد الأرضين «حقا ماعت رع ستبن رع»: «إني أقدم لك الأبدية بوصفك ملك الأرضين السرمدي وبوصفك ملك السعادة». وكتب أمام ساقى الإله ما يأتي: «إني أجعل قوتك تسيطر على كل البلاد الأجنبية». **متن الإلهة «موت»:** ما قالت «موت» العظيمة «سيدة إشر» «يا سيد التيجان «رمسيس ماعت مري أمون» إني أملك التي وضعتك، وإني أمدك بالحياة والبقاء والسعادة».

متن الإله «خنسو»: ما قاله الإله «خنسو» في «طيبة»-«نفرحتب» لابنه سيد الأرضين «حقا ماعت رع ستبن أمون»: «إني أجعل كل الأرض تنحني أمامك والأقواس التسعة تحت نعليك». ونقش أمام ساق «خنسو»: «إني أجعل عمرك عمر «رع» في السماء (أي عمر الشمس)».

الجزء الأيمن من المنظر: نقش تحت إلهة في صورة رخمة: «الحماية، والحياة، والسعادة من ورائه مثل «رع»».

(٢) **الملك:** مثل الفرعون لابساً التاج «خبرش» (الخوذة) ومرتبداً قميصاً طويلاً ذا ثنيات. ويده اليمنى ممتدة نحو الآلهة، والظاهر أنه يقدم القربان التي كانت مكدسة على مواثد القربان أمامه (وهذه الحركة التي يؤديها الملك بيده هي الخاصة بالشعيرة المعروفة باسم قربان يقدمه الملك) ويده اليسرى مدلاة وممسكة بملعقة البخور التي كان يريد استعمالها، وقد كتب النقش التالي أمام الملك: «تأدية شعيرة «حتب دي نسوت» (قربان يقدمه الملك) لوالده «أمون رع» سيد عروش الأرضين، الذي يعمل له (أي رمسيس الرابع) هدية الحياة».

وشعيرة تقديم القربان الملكية كانت تؤدي في المعابد أو في المقابر على السواء، ويلاحظ هنا أن الديانة المصرية كانت ذات صبغة نفعية محضة، ففي المعابد كان تقديم الملك القربان للإله لأجل أن يمنحه الحياة الإلهية.

(٣) **موائد القربان:** يشاهد في المنظر أربع موائد قربان كدست عليها القربان من كل نوع بدقة وافتنان.

(٥) **المتن الكبير:** نقش هذا المتن بين صورة «آمون رع» والملك فوق المائدة، ويتألف من عشرة أسطر مقسمة قسمين: الأول يشمل صيغة تقديم القربان، والثاني أنشودة. وهاك القسم الأول: «قربان يقدمه الملك للإله «جب» وللتاسوع الأعظم، والتاسوع الأصغر، ولجماعة آلهة الوجه القبلي، وجماعة آلهة الوجه البحري (راجع J. E. A. 30, p. 28) ولكل الآلهة الآخرين مقدم من ابنك الذي تحبه سيد الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون». (٢) سيد التيجان «رعمسيس ماعتي مري آمون» وهي: ألف من الخبز، وألف من أباريق الجعة، وألف من الثيران، وألف من الدواجن، وألف من أواني المرمر، وألف من الملابس، وألف من أواني الزيت، وألف من طاقات الأزهار، وألف من المأكولات، وألف من كل شيء جميل نقي. (٥) وألف من كل شيء جميل حلو، ويعني بذلك ما توجد به السماء لك وما تنتجه الأرض لك، وما يحمله النيل لك، من كهفه (الذي يخرج منه). ليت اليد المعطية والنيل المطهر ورب الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون» رب التيجان «رعمسيس ماعتي مري آمون» يقدم قرباناً لوالده «آمون رع» سيد عروش الأرضين.» ويأتي بعد ذلك الأنشودة وهي:

إني أعرف «الآلهة» الذين في السماء

إني أعرف «الآلهة» الذين في الأرض

إني أعرف «الآلهة» الذين يحيطون «بحور»

إني أعرف «الآلهة» الذين يحيطون بالإله «ست»

وإني أسر «حور» «بإعادة» عينه له

وإني أفرح «ست» «بإعادة» خصيتيه له

وإني «تحوت» الذي يبهج الآلهة

والذي يضع الأشياء في مكانها.

ويلاحظ في هذا المتن أن معرفة الآلهة تلعب دوراً هاماً؛ ولذلك نجد في كتاب الموتى عدة فصول تحتّم على المتوفى معرفة الآلهة (راجع Naville, Das Aegyptische Todtenbuch, Chapitre, 108, 109, 111–116).

وهذا أنفُس ما نجده في متون التوابيت (راجع De Buck. The Egyptian Coffin Texts. Vol. II spells, 154 to 160 p. 266–388).

وهذه المعرفة التي تركز على قوة السحر، التي تنتج من معرفة الاسم الإلهي كانت معروفة في متون الأهرام (راجع Pyr. I, 327, 332, 449, 815; II, 910, 1434). أما عبارة «إني «تحت» الذي يبهج الآلهة.» فهي صفة من صفات هذا الإله علقت به في الأزمان المتأخرة من تاريخ مصر فيقال عنه: إنه «تحت» الذي يفصل الأرضين ويبهج الآلهة. وصفته الأخيرة كما قلنا حديثة العهد به، إذ لا نجده في متون الدولة القديمة يكلف بتقديم القربان في المحارب والمقاصير. وكان أول ظهوره بوصفه موزع القربات المادية للآلهة والناس في عهد الأسرة الثامنة عشرة. ولدينا متن يعبر لنا عن وظيفته هذه من هذا العهد (راجع Mariette, Abydos. I Pl. 37).

إني «تحت» وإني أمرك بعين «حور»
وإني أحمل لك كل ضروري وما يوجد في السماء وفي الأرض
وكل شيء ضروري لك ضروري للآله «حور»
وكل شيء ضروري لك ضروري للآله «ست»
وأملك تسر «حور» بعينه
وأملك تسر «ست» بخصيتيه.

وهذا المتن يشير بطبيعة الحال إلى الشجار الذي نشب بين «حور» و«ست»، فقد انتزع «ست» من «حور» عينه وفي مقابل ذلك نزع «حور» خصيتي «ست»، وقد كان «تحت» هو الذي أصلح بين الخصمين وردَّ إلى كل منهما ما انتزع منه.

(٥) **النقوش العمودية التي خلف الفرعون:** وهذا المتن متصل بالمنظر مباشرة، غير أنه يصف معرفة كيفية هذا الاتصال، والظاهر أنه خاص بوعده إلهي، ولكن الإله في هذه الحالة ليس معروفًا: «إنك تبقى مثل السماء والقرص الذي فيه رب الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون» سيد التيجان «رمسيس ماعتي مري آمون» الذي يحبه «خنسو نفر حتب».

النقوش التي على الجزء الأسفل من الجدران: يوجد نقش حول الجدران في الصف الأسفل من هذا الجزء من المعبد وهو خاص بمذبح الفرعون: «يعيش ملك مصر الابن الطيب سيد الأرضين «حقا ماعت رع ستبن آمون» بن «رع»، وهو الذي مكن أسسه سيد التيجان «رمسيس ماعتي مري آمون» الذي يحبه «خنسو نفر حتب».

الخلاصة

لقد جرت العادة أن ينظر إلى أنواع الفن المختلفة في العهد الأخير من عصر الرعامسة بعين الاحتقار، ولكن هذه النقوش التي تحدثنا عنها في معبد «خنسو» تبرهن على العكس من ذلك، وتظهر لنا أنه كان لا يزال في هذه الفترة من التاريخ المصري مفتنون لا تنقص مواهبهم عن مواهب من سبقهم في شيء. ففي المنظر الذي نحن بصدده نجد أن رعوس «آمون رع» و«موت» وموائد القربان والملك والإلهة الممثلة في صورة رخمة، جميعها تلفت النظر بجمال فنها من كل الوجوه لدرجة أنه لولا أن النقوش غائرة وأن طغرائي «رعمسيس الرابع» قد دُوِّنت فيها لقلنا: إن هذه الصورة من عمل «سيتي الأول»، أو إنها تعد من بين هذه المناظر الجميلة التي أخرجت في عهد «رعمسيس الثاني».

وهذه الصورة قد ألفت بلا نزاع في عهد «رعمسيس الرابع»، ومع ذلك فإن لدينا مسألة لا تزال معقدة، وهي: لمن تنسب بقايا الرسوم التي لا تزال ترى على كل هذه اللوحة مما يدل على أنها الأصل، ثم جاء «رعمسيس الرابع» ورسم فوقها؟ والواقع أننا نميز فيها ملكًا متوجًا بتاج «خبرش»^{٣٦} ويده ممدودة نحو الآلهة الجالسين. فيلاحظ أن لون الملك ظاهر على موائد القربان ورأسه في المتن الذي فوقها. وأذرع الآلهة موجودة أمام وجهي «آمون رع» و«خنسو»، وأخيرًا يظهر إفريز للزينة في ارتفاع ساقبي «رعمسيس الرابع»، ومن كل ذلك يمكن أن نعرف أن هذا النقش كان قبل نقش «رعمسيس الرابع». هذا ويلاحظ أن أهمية هذا المنظر لم تكن أثرية وحسب، بل كذلك لها قيمة دينية وبخاصة شعيرة تقديم القربان الملكية في الديانة المصرية في العصور المختلفة.

(٣-٣) الكرنك

وقد نقش «رعمسيس الرابع» بعض مناظر طريفة على عمد قاعة العمدة الكبيرة في معبد الكرنك، وكلها مناظر دينية يقدم فيها القربان للآلهة العظام، وبخاصة الإله الأعظم «آمون رع» ملك الآلهة، فنشاهده في منظر يقدم «ماعت» (العدالة) للإله «آمون رع» ملك الآلهة، وخلفه الإلهة «آموننت» زوج «آمون» ساكنة الكرنك، والإله «مين» والإلهة «إزيس».

^{٣٦} التاج الأزرق الذي كان يلبسه الفرعون عادة في الحرب.

وفي منظر ثانٍ يقدم الفرعون «آمون» صورة «مين» العطور، وخلف هذا الإله الإلهة «موت» ثم الإله «خنسو». وفي منظر ثالث يُرى الفرعون وهو يتسلم من الإله «بتاح» رمز الأعياد الثلاثينية، وقد وقفت خلفه الإلهة «سخت» زوجته، كما وقفت خلف الملك الإلهة «إزيس». وفي منظر رابع يرى الفرعون متعبداً للإله «مين» الذي يقدم له كذلك رمزاً لأعياد ثلاثينية، وأخيراً نجد الفرعون يقدم للإله «آمون» ممثلاً في صورة كبش الأزهار، ويقدم الإله بدوره الملك السرمدي، وقد ظهر خلف «آمون» الإلهة «واست» ربة «طيبة»، وقد منحته ملك الأراضي كلها (راجع Porter & Moss. II, p. 18, 19).

وفي الكرنك كذلك عُثر له على الجزء الأعلى من تمثال من الحجر الرملي طوله ٧٥ سنتيمتراً، وقد مثل الملك جالساً يلبس الكوفية المزوقة بخطوط زرقاء وصفراء، وبيده اليمنى علامة «حقا»، وشفتاه قد لونتا بالأحمر. وقد عثر عليه بين البوابة الرابعة ومسلة «تحتمس الأول».^{٣٧}

وُجد لهذا الفرعون تمثال من الخزف ارتفاعه ستة وأربعون سنتيمتراً في خبيئة الكرنك «سنة ١٩٠٤»، وقد مثل ماشياً، وقد وجد مهشماً ثلاث قطع ونقش عليه اسمه وألقابه.^{٣٨}

وكتب اسمه فوق اسم «رمسيس الثاني».^{٣٩}

وفي «الرمسيوم» كتب هذا الفرعون اسمه على عمود في القاعة الثانية من هذا المعبد.^{٤٠} وتوجد له صور نقلها «لبسيوس».^{٤١}

وكتب اسمه على قطعة آنية من المرمر.^{٤٢}

وقد أضاف «رمسيس الرابع» جزءاً في المعبد الذي أقامه «رمسيس الثالث» للإله «أنحور» في «العراة المدفونة».^{٤٣}

^{٣٧} راجع: A. S. V. Pl. VI. p. 36.

^{٣٨} راجع: Legrain. Statt. II, No. 45151, p. 16 Pl. XIV.

^{٣٩} راجع: L. D. III, 143 a.

^{٤٠} راجع: L. D. III, 219 c.

^{٤١} راجع: Champ. Mon. p. 306; L. D. III, 299, (70).

^{٤٢} راجع: Brit. Mus. Nr. 2: 880.

^{٤٣} راجع: Weigall Guide, p. 9.

كما أضاف بعض المباني في معبد الأقصر.^{٤٤}
مدينة هابو: نقش «رعمسيس الرابع» لقبه الملكي فوق لقب والده على واجهة البوابة الكبيرة تحت القائمة الجغرافية بأسماء البلدان، التي يزعم أنه قهرها.^{٤٥}
وفي قاعة الأعياد في حجرة القربان وضع «رعمسيس الرابع» نفسه مكان «تحتمس الثالث» صاحب المعبد.

العرابة: وجد «لرعمسيس الرابع» جذع تمثال له في «العرابة»، وقد تركه «مريت» في مكانه.^{٤٦}

وكذلك عثر على جزء من تمثال راعٍ لنفس الملك مع مائدة قربان، وهو محفوظ «بمتحف فلادلفيا» من أعمال «بنسلفانيا».^{٤٧}
وُجِد له كذلك تمثال مجيب، وللأميرة «مريت آمون» في الرمل الذي داخل الجدار الجنوبي «لشونة الزبيب».^{٤٨}

قفت: عثر لهذا الفرعون على جزء من لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري. والجزء الأعلى الذي كان فيه منظر تعبد قد هشم، وهاك النص الباقي:

السنة الثالثة، الشهر الثالث من فصل الصيف، في عهد جلالة «حور» الثور القوي، العائش من العدالة، رب الأعياد الثلاثينية مثل والده «بتاح تاتن» المنسوب للإلهتين، حامي مصر، وغال الأقواس التسعة «حور» الذهبي، الكثير السنين، العظيم الانتصارات، الملك الذي أوجدته الآلهة، ومن يجعل الأرضين تعيشان، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «حقا ماعت رع» بن رع، محبوب الآلهة، ورب التيجان «رعمسيس»، ومحبوب «مين» صاحب الريشتين المرفوعتين، و«أوزير» رب الأبدية، و«حور» بن «إزيس»، و«إزيس» الأم العظيمة الإلهية، والإله الطيب العائش، صاحب الخطط النافذة، رب النور

^{٤٤} راجع: Ibid p. 71.

^{٤٥} راجع: Daressy, Medinet. Habu. p. 63-73.

^{٤٦} راجع: Porter & Moss V. p. 44; Legrain Repertoire Nr. 215.

^{٤٧} راجع: Ibid p. 48.

^{٤٨} راجع: Ibid p. 54.

الذي فيه حتى عنان السماء، وإنه يشرق في المحراب كما يشرق في الأفق مضيئاً الأرضين بجماله، ووالدته «إزيس» ثابتة فوقه، حامية له، سيد ما على ... والخوف منه في قلوب الناس بوساطتها، وكل إنسان يتجه نحو إشراقه، والقلوب تنشرح عند ظهوره مثل النيل ...

وليس في هذه اللوحة ما يلفت النظر إلا بعض أساليب في وصف الملك طريفة في بابها (راجع Rec. Trav. XI. P. 91-92).

الجيزة: قطعة من عمود أسطواني وجدت بجوار الهرم الأكبر كتب عليها: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين، وسيد القوة، ورب القربان «وسر رع ستين آمون» معطي الحياة.» (راجع A. Z. XIX, p. 116).

طره: نقش اسم «رمسيس الرابع» على محاجر طره (راجع Wiedeman Geschichte p. 512).

منف: كتب هذا الفرعون اسمه مكان اسم والده الفرعون «رمسيس الثالث»، بعد أن محاه على قطعة من الحجر في معبد الإله «بتاح» بمنف، وقد كتب في الأصل على هذه القطعة «رمسيس الثالث» محبوب الإله «بتاح» جميل الوجه (راجع Brugsch, Recueil I. Pl. IV Nr. 2).

هليوبوليس: يوجد بالمتحف المصري الجزء الأسفل من مسلة من الحجر الرملي عثر عليها عام ١٨٨٧، وكشف عنها في أسس أحد منازل القاهرة. وهذا الأثر مهم من حيث إن «رمسيس الرابع» قد ذكر عليه بعد اسمه ثمانية آلهة من آلهة طيبة، وقد نقش على كل من أوجه المسلة الأربعة سطران، والآلهة الذين ذكروا هم: «آتوم» والإلهة «إيوس عاس» و«حوراختي» والإلهة «حتبت» (حتحور) والإلهة «تفنوت». وعلى الوجه الرابع من المسلة ذكر الإهداء التالي: «لقد عملها أثر والدة «رع» مقيماً له مسلة عظيمة اسمها «رمسيس» طفل الإله.» (راجع A. S. IV p. 105). ويلاحظ فيما جاء من نقوش على هذه المسلة أنه قد أُتي بها من «منف» أو «هليوبوليس»، والأرجح أنه جيء بها من الأخيرة، هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن «رمسيس الرابع» قد وصف هذه المسلة بأنها عظيمة على الرغم من أنها صغيرة الحجم إذا ما قيسَت بمسلات عهد الأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، مما يدل على مقدار فقر البلاد في تلك الفترة (راجع Maspero, Guide (1914) p. 156).

طود: وفي طود أصلح ما تهدم من معبد الإله «منتو» (راجع Chronique D'Egypte, (Vol. 50, Juillet, 1950, p. 245).

تل اليهودية: ووجد اسمه على قطعة حجر في تل اليهودية.
(راجع Ashmolean Mus. Nr. 43).

(٤) الأوراق البردية من عصر «رعمسيس الرابع»

(١-٤) ورقة مالت^{٤٩}

هذه البردية تحتوي على ثلاث ورقات اشتراها البارون «مالت» من مزاد عمل لبيع آثار «أنسطاسي» عام ١٨٥٧، وقد ترجمها «مسبرو» وهاك ترجمتها:

الورقة الأولى

مذكرة عن تقرير النائب «نخت آمون»؛ ليخبر الحكام بالأمثلة التي حصلت عليها منذ السنة الحادية والثلاثين حتى السنة الثالثة، أي منذ أربعة أعوام، من يد التابع «تحتمس» بمعبد الإله «خنسو»:

(١) أربعة جلود ممتازة، وقيمتها ثمانية دبنات من النحاس (أي ٧٢٨ جرام أي إن الدبن = ٩١ جراماً).

(٢) جلد مبطن بجلد جميل وقيمته خمسة دبنات من النحاس.

(٣) عصاً من خشب شجر «عونت» مطعمة بخشب «عقو»، وقيمتها أربعة دبنات من النحاس.

(٤) عصاً من خشب «عونت» قيمتها دبن واحد من النحاس.

(٥) قميص ملون قيمته دبن واحد من النحاس.

(٦) رداء ملون قيمته دبن واحد من النحاس.

(٧) فأس قيمتها دبنان من النحاس.

(٨) قمح: حقيبتان ونصف حقيبة.

^{٤٩} راجع: Rec. Trav. I, p. 47 ff.

(٩) دقيق: حقيبة واحدة.

(١٠) رداء ملون من يد التابع «ثاري».

(١١) رداء ملون من نسيج «سماو»: واحد.

السنة الرابعة قميص ملون واحد.

نحاس: ثلاثة دبنات.

وهذا على حسب ما قد قيل لي: «ينبغي أن يعطونه، ولكن لم أعطَ خبرًا قط للمعبد الذي أنا فيه، ولم أعطَ أية ثيران (?) ولم أعطَ أوزًا».

الورقة الثانية

يقول المشرف على الثيران «باكنخنسو» التابع لمعبد «آمون رع» ملك الآلهة لرجل الشرطة (مازوي): «مانخت ست»، ولرجل الشرطة «نخت ست»، وللمفتش «باوتخ» التابع لمقصورة الملك «وسر رع خع ستبن رع مري آمون» له الحياة والفلاح والصحة، وللمفتش «با إوو» وللمفتش «وسخت»، وكذلك لكل حراس مائدة معبد «آمون» الذين في إقليم «خر» ما يأتي: عندما يصل إليكم «نخت-آمون» النائب، عليكم أن تخرجوا معه، وتقوموا بعمل طراد لي في المستنقعات التي يقودكم إليها، وما ستصطادونه كلوا منه، ولا تأتوا لتقدموا لي حسابًا (عما تأكلونه) وإذا جاء «آمون رع» ملك الآلهة أو الفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) ابنه، أو إذا ذهبت لترى من سيأتي للقيام بالطراد لي، فلا تذهب لتتعد بلا عمل؛ لأن كل واحد منكم هو خادمي، وسأذهب إليكم لأوقع العقاب على المتقاعد منكم، وسأعاقبه. (?) تأمل هذا بوصفك مرسلاً لتقوم بهمة، واحفظ خطابي فإنه سيكون لنا حجة في يوم آخر.

الورقة الثالثة

المشرف على الماشية «باكنخنسو»، والمشرف على مائدة «آمون رع» ملك الآلهة يقدم واجباته لكاتب المائدة «إري عا» التابع لمخزن الضرائب، راجيًا له الحياة والصحة والقوة، ورضا «آمون رع» ملك الآلهة: إنني أتضرع إلى «برع-حوراختي» عند شروقه وعند غروبه لتكون في صحة جيدة، ولتبقى حيًا، ولتتصابى كل يوم. رسالة: عندما حضر أمين الخزانة «خعمتيرا» عندي في قرية «خر» تسلمت خطابًا، وقيل لي فيه: جهز ألف القطعة من

الخشب، وعشرة الآلاف حقيبة من الفحم كما اتفق عليه بيننا، واعمل على أن يكون الخشب في أمان؛ لأن ذلك يعادل ما عليّ من ضريبة سنوية، وتأمل، فإن المشرف على خزانة الفرعون له الحياة والفلاح والصحة قد أتى وأحضر إليّ أمرًا خاصًا بألف القطعة من الخشب، وعشرة الآلاف مدّ من الفحم. وقد أمرت زيادة على ذلك بقطع ألف القطعة من الخشب، وعشرة الآلاف مدّ من الفحم، وقد وضعتها على مرسى قرية «خر»، وكذلك أمرت بقطع سبعمائة قطعة خشب أخرى، وعشرة آلاف مدّ من الفحم، ووضعتها على مرسى «برمنتو»، وعندما أقابلك سأسمع ما ستقول، وإذا ... (بقية الخطاب مهشمة ولا يمكن أن يفهم شيء منها).

هذه الرسائل الثلاث تكشف لنا عن صفحة من المراسلات الإدارية في العهد الفرعوني خلال الأسرة العشرين. والخطابات كتبها الكاتب «باكنخنسو». وتدل شواهد الأحوال على أنها كتبت في زمن واحد. ولذلك وجدت في ملف واحد وهي من عهد الفرعون «رعمسيس الرابع».

والخطاب الأول مذكرة عن أشياء اقتبست من تقرير النائب «نخت آمون». وكثيرًا ما نعثر على أمثال هذه المذكرات فيما بقي لدينا من الأوراق البردية التي عثر عليها في مصر القديمة. والمقصود هنا عدة أشياء حصل عليها النائب من يد التابع «تحتمس»، ومن شخص آخر يدعى «ثاروي». وهذه المواد مختلفة أنواعها، فالمادتان الأوليان من الجلد الجميل، وقد قدر ثمن كل قطعة منهما بما يعادل دبنين من النحاس، والثانية من الجلد المبطن الذي كان يستعمل للدروع، وثمن القطعة خمسة دبنات من النحاس، أي ما يوازي حوالي ٤٥٥ جرامًا من النحاس.

ثم تأتي بعد ذلك مواد من الخشب يحتمل أنه السرو، وقد صنعت منه عصًا مطعمة بنوع آخر من الخشب لم يعرف كنهه بعد، وعمل من النوع الثاني هراوة. وثمن الأولى أربعة دبنات (٣٦٤ جرامًا) من النحاس، وثمن الثانية دبن واحد (٩١ جرامًا) من النحاس. أما بقية المواد فهي من النسيج الملون الذي يستعمل في صنع الملابس. وبعد ذلك ذُكرت حقيبتان من القمح، وحقيبة من الدقيق، ولم يأتِ ثمنها في المتن. ثم ذُكرت فأس قُدِّر ثمنها بدبنين (١٨٢ جرامًا) من النحاس. وأخيرًا جاء في هذه القائمة ثلاثة دبنات من النحاس.

وقد ختم النائب «نخت آمون» خطابه — كما هو المعتاد في كثير من برديات هذا العهد — بالشكوى من عدم إعطائه المواد التي جاءت في هذا الخطاب — على الرغم من الأوامر المشددة التي تصدرها المراجع العليا — وهي: الخبز، والأوز، والثيران.

ويلاحظ أن ما حفظ لنا في ورقة «مالت» يدل على أن الإدارة في مصر في العهد الإغريقي، من حيث عدم الدقة — وفي كل شيء آخر — كانت كالتقاليد الفرعونية القديمة. أما الرسالة الثانية فيظهر مما جاء فيها أن الموظف «باكنخنسو» كان يصدر الأوامر لكثير من مرءوسيه لتسخيرهم في أعمال خاصة، فنجد هنا يسخرهم للقيام بالصيد كما يشاهد ذلك في المناظر التي صُوِّرت على جدران المقابر. وكان على هؤلاء المسخرين أن يصطادوا في الأدغال تحت مراقبة «نخت آمون» الذي نذب لهذا الغرض.

ويظهر أن هذا الطراد كان يتم دفعة واحدة، دون أن يشتغل القائمون به في أي عمل آخر مهما كان السبب الداعي إليه حتى ولو كان ذلك للحضور لتقديم تقرير، أو للحضور المفاجئ للفرعون الذي كان يسكن على مقربة منه، أو بسبب وصول شخصية ما لم تذكر، ويحتمل أن يكون الشرطي «ماسوتخ» وهو الذي ذُكر أولاً في المقدمة، أو «نخت آمون» هو الذي سيأتي ليحقق حضور كل فرد من الأفراد الذين كلّفوا بهذا الطراد.

ولتلافي كل تأخير كان على الصيادين أن يتناولوا طعامهم مما يصطادونه في نفس المكان، الذي كانوا يقومون فيه بالطراد. ولا نعلم إذا كان هذا الطراد بدون مقابل، أو كان الصيادون يتقاضون مكافأة عليه. والواقع أننا نشاهد — في المناظر التي نجدها مصورة على جدران المقابر للصيد بالشباك — الرجال الذين كانوا يجذبون الشبكة وأحدهم يقول لزميله: أحضر ما فيها ليكون لك منها أوزة.^{٥٠}

وهذا ما يعضد النظرية الثانية، أي إنهم كانوا يأخذون من صيدهم نصيباً. أما المتن الذي كتب على الورقة الثالثة فهو أطولها وأكثرها تمزيقاً. وفي هذه الرسالة لا يخاطب الكاتب «باكنخنسو» مرءوسيه بل يخاطب أحد الرؤساء أو مواطناً مساوياً له، ويظهر ذلك من لهجة رسالته، فبعد التحيات العادية يقص للمرسل إليه تنفيذ أمر وصل إليه بوساطة كاتب يدعى «خعمتيرا»، غير أن المعنى المقصود لم يمكن فهمه؛ وذلك لأن التمزيق الذي حدث في الورقة جعل المعنى مغلقاً، ولغرابة الموضوع الذي تبحثه الوثيقة. وتدل شواهد الأحوال على أن الكاتب «إري عا» قد أرسل إلى الكاتب «باكنخنسو» أمراً أو رجاء؛ ليحضر له ألف قطعة من الخشب، فيقول المتن: وهذه «ألف القطعة من الخشب» مما يدل على أن الموضوع كان معلوماً من قبل في خطاب آخر سابق لذلك، وكذلك عشرة آلاف قطعة من الخشب، وكان لزاماً عليه أن يضع هذه الكميات في مكان أمين؛

^{٥٠} راجع: Dumichen Resultate I, Pl. VIII.

لأنها تعادل قيمة الضريبة التي كان يجب أن يدفعها «إري عا» للخزانة. وقد كان جواب «باكنخنسو» على هذا الطلب أنه قد حضر موظف من الخزانة فسلم إليه الخشب. وعلى ذلك فإن «باكنخنسو» أمر بقطع كمية أخرى من الخشب، ووضعها على مرسى محطين مختلفين، وهي ألف وعشرة آلاف قطعة من الخشب من بلدة «خر»، وخمسمائة قطعة من الخشب، وعشرة آلاف حقيبة من الفحم، وكلها كانت مهياة للشحن في السفن (وبقية الرسالة مهشمة يصعب ترجمتها).

والواقع أن هذه أول مرة نصادف فيها في المخاطبات ذكر كميات عظيمة من الخشب مثل هذه. ونحن نعلم من جانبنا أن مصر ليست بأرض غابات وأشجار عالية، والظاهر إذن أن المقصود هنا هو شجر صغير الحجم كانت تؤخذ سيقانه وتربط حزمًا ثم تعد، كما كان يؤخذ بعضها، ويعمل منه الفحم المعروف لدينا بالفحم البلدي. ويجد الباحث في هذه الرسائل الحكومية كيفية جمع الضرائب، إذ نفهم من محتوياتها أنها كانت تُجبي من الفلاحين المزارعين، وكذلك من الصناع كل على حسب ما خصص به.

وهذه الأشياء كانت تقدر قيمتها نقدًا أحيانًا مثل العصي والجلود، أو عينًا كالقمح والدقيق والخشب والفحم، أو نقدًا بالدبن. يضاف إلى ذلك أن نظام الضياع كان لا يزال موجودًا، وأن السخرة كانت شائعة؛ إذ كان على عمال الضياع — على ما يظهر — أن يقوموا بالصيد لصاحب الضيعة دفعة واحدة إلى أن ينتهي، حتى إنهم كانوا يتناولون طعامهم في المكان الذي ذهب ليصطاد فيه.

(٢-٤) بردية وإستراكون خاصتان بالوحي^{٥١} من عهد «رعمسيس الرابع»

بردية المتحف المصري رقم ١٠٣٣٥^{٥٢}

هذه الوثيقة — على وجه عام — محفوظة حفظًا لا بأس به، وقد أرخت بالسنة الثانية من حكم ملك لم يسم باسمه، وعلى ظهرها (السطر الثامن) طغراءات الفرعونين: «رعمسيس الثالث» و«ستنخت». وهذا يحدد لنا — تقريبًا — زمن كتابتها.

^{٥١} راجع: J. E. A. Vol 12 p. 181 ff.

^{٥٢} راجع: J. E. A Vol. XI p. 247 ff.

ويقول «بلكمان»: يظهر أن الورقة كتبت في عهد «رعمسيس الرابع» نظرًا لأسباب خطية. وعلى الرغم من أنها لم تكتب بنفس اليد التي كتبت بها ورقة «Mallet»، فإن بين الوثيقتين تشابهًا. وأول من نشر هذه الوثيقة هو الأستاذ «بليت»،^{٥٣} ثم تلاه الأستاذ «بلكمان»،^{٥٤} وهاك الترجمة:

«السنة الثانية، الشهر الثالث من فصل الزرع، اليوم الأول من الشهر، لقد لجأ الخادم «أمنويا» إلى «آمون» صاحب «بخنتي»^{٥٥} في أثناء عيده الجميل، وهو عيد الحريم (أي الأقصر) قائلاً: ساعدني يا «آمون بخنتي» يا سيدي الطيب المحبوب! لقد جعلني المشرف على ماشية «آمون» آوي هنا في «بخنتي» المواطنين، بوصفي حارس مخزنه، وجامع ضرائبه (من أراضي المعبد). وقد حضر إليَّ أناس وقت الظهيرة وسرقوا مني خمسة قمصان من النسيج الملون، فيا سيدي الطيب المحبوب هل لك أن تعيد إليَّ ما سرقوه؟ فهز الإله رأسه بعنف.»

(٤) وكرر له الخادم «أمنويا» أسماء أشخاص البلد، فهز الإله رأسه عند ذكر اسم المزارع «باتاو مديأمون» قائلاً: «إنه هو الذي سرقها.» وقال المزارع «باتاو مديأمون» في حضرة الإله: «إنه كذب، فأني لست أنا الذي سرقها.» وعند ذلك غضب الإله جدًا.

(٦) وذهب مرة ثانية المزارع «باتاو مديأمون» أمام «آمون» صاحب «تاشنيت» (حي في طيبة أيضًا) قائلاً: «إني الآن قريب من إلهي في حين أنني كنت قد ذهبت لآخر، ولقد أخذ خمسة ... إلى محكمته.» وقد هز الإله رأسه نحوه بهذه الحالة قائلاً: «إنه هو الذي أخذها.» فقال المزارع «باتاو مديأمون»: «إنه كذب.» فأجاب الإله قائلاً: «خذوه أمام «آمون» صاحب «بوقنن» (حي في طيبة أيضًا) أمام شهود عديدين.»

قائمة بالشهود: ممثل المشرف على ماشية معبد الملك «وسر ماعت رع مري أمون» في بيت «آمون» «بايئري»، رئيس صناع المعبد «نينفر» تابع المعبد «أمنخعو».

ظهر الورقة: ووقف مع ذلك مرة أخرى أمام «آمون» «بخنتي» في عيده الجميل في شهر كيهك (وهذا العيد كان يعقد في اليوم الأول من الشهر الثاني من الفصل الثاني،

^{٥٣} راجع: P. S. B. A. X (1881) p. 41 ff.

^{٥٤} راجع: J. E. A. Vol. XI Ibid.

^{٥٥} «بخنتي»: اسم حي من أحياء «طيبة» له معبده المخصص «لآمون» المحلي، وكان يحتوي بطبيعة الحال على تمثال لعبادة لهذا الإله، وكان يعرف باسم «آمون» صاحب «بخنتي».

وهو عيد خاص بالملكية، وكان يعتبر بمثابة التاريخ الذي تولى فيه «حور» عرش الملك، وعلى ذلك أصبح يعد التاريخ التقليدي الذي يعتني فيه كل ملك مصري عرش الملك)^{٥٦} للمرة الثالثة ... وصاح قائلاً: «ساعدني يا «آمون-بخنتي»، يا سيدي الطيب المحبوب ! هل أنا الذي أخذت الملابس؟» فhez الإله رأسه بعنف قائلاً: «إنه هو الذي أخذها.» فأخذه وأوقع عليه عقاباً في حضرة أهل البلد. وأقسم يميناً في حضرة الإله قائلاً: «إني أنا الذي أخذتها في حضرة أهل ب ... وأهل «برحر» (?) والضباط الثلاثة التابعين للحي؟ ومزارع معبد «بتاح» «بمريحو». وشهد الإله لأهل المدن هؤلاء قائلاً: تأملوا إن الرجل يعترف بملابس الفرعون قائلاً: «إنها عندي وسأعيدها.» والآن لقد كان مفتش بيت محفة الملك «وسر خع رع ستبن رع» المسمى «بنحور» هو الذي جلده مائة جلدة بجريدة النخل، وجعله يحلف يميناً قائلاً: «إذا رجعت ثانية فيما قلت فلألق للتمساح.» وقد كان أصحابه وهم الذين كانت لهم علاقة باعترافه هم الذين جروه أمام الإله وكانوا معه شهاداً عند الاعتراف.

وقد جعل الإله الخادم «أمنويا» يحلف يميناً قائلاً: «إن الأشياء المسروقة لم تسترد منه.»

تعليق: وهذه الوثيقة لها أهمية كبرى من الوجهتين: الدينية والقضائية. فأول ما يلفت النظر فيها تسمية ثلاثة آلهة مختلفين باسم واحد هو «آمون»، وقد لجأ المجني عليه إليهم جميعاً للكشف عن السارق، وهم: «آمون بخنتي» و«آمون تاشنيت» و«آمون بوقنن»، وكل منهم — كما ذكرنا آنفاً — كان ينتمي إلى حي من أحياء مدينة «طيبة». وقد رأينا من وثائق أخرى أنه كان من المعتاد في العهد الأخير من عصر الإمبراطورية الالتهجاء إلى تماثيل العبادة للحصول على أحكام في كل أنواع الشؤون القضائية وغيرها.^{٥٧}

وهذه الوثيقة تحدثنا أن تماثل «آمون بخنتي» كان قد جيء به لاحتفال، وكان بطبيعة الحال محمولاً على أكتاف الكهنة بعض اليوم خلال عيد الحرم (عيد الأقصر) ومن المحتمل أنه في ذلك اليوم — وهو اليوم الذي يذهب فيه «آمون الكرنك» في موكب إلى الأقصر — كان كل الآلهة المحليين «لآمون» يؤخذون كذلك إلى الأقصر، أو كانوا يشتركون

^{٥٦} راجع: J. E. A. Vol. XI p. 123 ff.

^{٥٧} وكان لكل جهة تماثلها الذي يسمى آمون مشفوعاً باسم الحي أو القرية التي تعبد.

بطريقة ما في هذا الاحتفال، أو يحتمل أن كل «آمون» كان له يوم حفل خاص خلال انعقاد هذا العيد.

والواقع أن لدينا في مصر الحديثة ما يشبه هذا الاحتفال، فنجد مثلاً عند الاحتفال بالمولد الكبير «للسيد البدوي» أن كثيراً من وفود أتباع الأولياء القاطنين في البلدان والقرى يذهبون إليه، وكل وفد منهم يحمل غطاء ضريح لشيخ بلدته وقلنسوته علامة على حضور صاحبهما، ثم يطاف بهما حول القرية أو المدينة التي بها الاحتفال إلى أن يصل إلى مكان الاحتفال بولي البلدة نفسها.

وعلى أية حال فإنه خلال حمل كهنة الإله لتمثاله في حالتنا هذه تقدّم له شخص يدعى «أمنويا» طالباً محادثته في معضلة اعترضته. وذلك أن «أمنويا» هذا كان حارساً لمخزن الملك لمعبد «آمون» صاحب «بخنتي» بطبيعة الحال، وقد كان يقض مضجعه أن خمسة القمصان من النسيج الملون، التي كانت في حيازته قد سرت منه فهل للإله أن يرد له البضاعة المسروقة؟ فأجاب الإله بهز رأسه علامة على قبول ملتسمه (ويلاحظ هنا أننا نجد في مصر بقايا هذه العادة حتى الآن، وذلك أنه عندما يسرق شيء من فرد ما يذهب المسروق منه إلى ضريح أحد المشايخ، أو إلى الولي الذي يوجد في القرية ويزوره، ثم يقدم إليه شكواه ويطلب إليه إعادة ما سرق منه قائلاً له وهو على أهبة مغادرة ضريحه: «هز المقام يا شيخ فلان». وهذا هو نفس ما كان يتطلبه المصري القديم من تمثال الإله بأن يهز رأسه بالقبول).

وبعد ذلك أخذ «أمنويا» في سرد قائمة بأسماء الناس كلهم الذين يسكنون بلدته، وعند ذكر اسم المزارع «باتاو مديأمون» هز الإله رأسه ثم مُثّل كأنه يقول: إنه هو الذي سرقها (الملابس) فأسرع «باتاو مديأمون» بإنكار هذه التهمة. ومن ثم نعلم أن الإله كان في شدة الغضب لهذا الإنكار.

ولكن «باتاو مديأمون» لم يكتفِ بذلك، بل لجأ إلى إله آخر محلي يدعى «آمون تاشنيت»، وهذا الإله الأخير — على ما يظهر — كان إله الحي الذي يسكنه «باتاو مديأمون»؛ لأن المتهم يقول: «إني الآن قريب من إلهي» في حين أن لفظة «الآخر» في المتن يظهر أنها تشير إلى «آمون بخنتي»، وهنا تعترضنا جملة فيها خمسة ألفاظ لا نفهم معناها.

وعلى الرغم من أن المتهم قد سعى إلى استمالة إلهه المحلي، فإنه قد حكم عليه ولكنه لما استمر في عناده وإنكاره ارتكاب الجريمة أمر الإله بأن يؤخذ إلى «آمون بوقنن» في حضرة شهود عديدين، ولا نعلم ما حدث في هذا التحقيق.

ويبتدئ المتن الذي على ظهر الورقة مبيّنًا أن «باتاو مديأمون» قد أتى به مرة أخرى أمام «أمون بخنتي» للمرة الثالثة. ولكن الوثيقة لم تذكر لنا حضوره أمام هذا الإله مرتين؛ مما يدل على أن الوثيقة لا تشمل إلا مقتطفات من وثيقة أخرى رسمية، ومن أجل ذلك تركنا في ظلام دامس بالنسبة لما حدث في المقابلة الثانية بين «باتاو مديأمون» و«أمون بخنتي»، ولكن قد حدثت بدهاة أمور أثرت على حالة الرجل العقلية، وذلك أنه في مقابلته الثالثة سأل السؤال التالي: «هل أنا الذي أخذت الملابس؟» وقد أجاب الإله على ذلك بالإثبات، وذلك بهز رأسه بعنف قائلاً: «إنه هو الذي أخذها». فضلاً عن الإدلاء بهذا الجواب فإن الإله أمر بتوقيع العقاب عليه في حضرة أهل البلد. وهذا لا بد يعني أن أحد كهنة «أمون بخنتي» — عملاً بالتعليمات الإلهية — ضرب الرجل، مما جعله ينزل عن عناده ويعترف بأنه سرق الملابس. وهذا التأكيد من جانب الإله للمرة الثالثة بأن «باتاو مديأمون» كان مجرمًا قد أقنع بطبيعة الحال أصحاب المتهم ومعضديه؛ لأنهم هم الذين «جذبوه» أمام الإله.

ولا نزاع في أنهم قد طرحوه أرضاً، عندما كان ينفذ فيه عقاب الإله الذي جعله يعترف بالجريمة. ويستمر البيان السابق قائلاً: «وكانوا معه بمثابة شهود عند الاعتراف بالجريمة». ولا بد أن اشترك أصحابه أنفسهم في توقيع العقاب عليه كان ذا أثر عظيم على «باتاو مديأمون»، وربما كان ذلك هو المحرض الأخير له على اعترافه بالسرقة. وبعد أن فرغ من عقاب المجرم ذكر الإله للقوم الحاضرين أن «باتاو مديأمون» قد اعترف بجريمته، وأنه وعد بإعادة البضاعة المسروقة التي عبر عنها بأنها ملابس الفرعون (أي من مال الفرعون وهو الضريبة التي كانت تحصل).

غير أن الضرب والإخضاع لم يكن نهاية عقاب «باتاو مديأمون»، فقد رأينا أنه بعد نطق الإله جاء مفتش بيت محفة الملك «ستنخت» المسمى «بنحور» ووقع عقاباً آخر على المتهم فجلبه مائة جلدة بجريدة نخل، وجعله يحلف ألا ينقض ما اعترف به وإلا رمى به إلى التمساح.

ويلاحظ أن ما جاء بالسطرين «٢٠، ٢١» من وجه الورقة يقدم لنا لمحة هامة عن الرسميات القانونية المصرية، وذلك أنه — حتى بعد أن اعترف «باتاو مديأمون» بجريمته، ووعد بإعادة القمصان المسروقة — أمر الإله المجني عليه «أمنمويا» بأن يحلف يميناً أنه لم يتسلمها حتى الآن.

وإنه لم المهم جداً أن نعرف هنا على وجه التأكيد معنى «أن الإله هز رأسه». والواقع أن ما بقي لنا من أمثال هذه الصور — التي يلجأ فيها الشاكي إلى الإله؛ ليحصل على إجابة بوساطة الوحي — تنحصر في قارب يمثل محراباً محمولاً على أكتاف كهنة عديدين. ويلاحظ أن الحجرة المخصصة للإله — وهي التي تحتوي على صورته في القارب — كانت مغطاة بستارة، وكان التمثال نفسه مختفياً عن الأنظار. ويخيل للإنسان أن الستارة كانت تجر عندما كان يأتي النطق بالوحي، وأن الكهنة كانوا يؤدون ذلك بحيلة ما بحيث تهتز رأس الإله. أو هل نفرض أن القارب المقدس نفسه كان يهتز بعنف وهو على أكتاف الكهنة؟

وفي اعتقادي أن الفكرة الأخيرة هي الصحيحة إذ نجدها تمثل في أيامنا الحالية. وذلك أنه عند وفاة أحد الأولياء نرى أن أتباعه يحملونه على أعناقهم لدفنه، وعندما يأتون إلى الأماكن التي كانت محبة إليه يدفعون به — على الرغم منهم كما يزعمون — ويدخلونها جرياً كأنهم لا إرادة لهم في ذلك، أو نجدهم أحياناً يقفون به عند أماكن خاصة، ولا يستطيعون الحركة لمدة ما.

ونفهم من هذا المتن — ومن غيره مما سنذكره أو ذكرناه — أن تمثال الإله الذي يستشار لم يكن ليجيب بهز رأسه وحسب، بل كان يتحدث أيضاً. والمفروض حينئذ أنه كانت تسمع كلمات بالفعل تخرج بطبيعة الحال من فم الكاهن الذي فرض أن الإله يتقمصه، وعلى ذلك كان يمثله فعلاً. وبهذه المناسبة نذكر أن الملكة «حتشبسوت» كانت تتضرع يوماً عند السلم (المؤدي إلى التمثال الجالس على عرشه) إلى سيد الآلهة، فسمع أمر خارج من المكان العظيم — وهو وحي من الإله نفسه. ومن الأمور البارزة في نظام إجراء العدالة بالالتجاء إلى إله — أن الشخص المتهم — على ما يظهر — لم يكن لديه مانع من معارضة الإله الذي أعلن أنه مذنب! إذ نجد — كما سبق — أن «باتاو مديأمون» قد أضر أمام ثلاثة تماثيل عبادة مختلفين، وقد جرت بينه وبينهم محادثات خمس قبل أن يعترف بأنه لص. وهذا يلقي ضوءاً منيراً على حالة المصري العقلية نحو أي إله من هذه الآلهة.

وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يظن أن في مقدوره تضليل الإله — كما يسعى الفرد أحياناً في تضليل القاضي أو الحاكم.

إستراكون عن الوحي

ولدينا «إستراكون» كذلك من عهد ذلك الفرعون خاصة بالوحي، ويرجع تاريخها إلى السنة الرابعة من حكم «رعمسيس الرابع»^{٥٨}. وهاك ترجمة ما جاء عليها:

السنة الرابعة، الفصل الرابع من شهر الزرع، اليوم الأخير من الشهر. في هذا اليوم بلغ العامل «كننا» بن «سيوازد» الملك «أمنحتب» رب المدينة قائلاً: «ساعدني يا سيدي الطيب، إني أنا الذي بنيت مسكن العامل «بيخال» عندما خرب، والآن تأمل فإن العامل «مرسخت» بن «مسننا» لم يسهل لي أن أسكن فيه قائلاً: إن الإله هو الذي قال لي: «قسمه معك على الرغم من أنه لم يبن فيه معي ... قسم». وهكذا تكلم قائلاً للإله (?) ثم كرر ذلك كاتب الجبانة «حور شرى» (?) له (أي الإله) وقال هو (أي الإله): «أعط المسكن «كننا» صاحبه ثانية؛ لأنه ملكه بأمر من الفرعون، وليس لأحد أن يقسمه». وهكذا قال هو (الإله) في حضرة رئيس العمال «نختم موت» ورئيس العمال «عنحور خعوي» والكاتب «حوري»، وحاملي الإله، وكل العمال في باب مقبرة رئيسهم «قاحا» وحلف يميناً قائلاً: «بحياة «آمون» وبحياة الفرعون سيدي بوصفه الأمير الذي قوته الموت، إذا رجعت في ذلك فإني أستحق أن أجلد مائة جلدة، وأحرم نصيبي (من المقابر التي توزع بين عمال الجبانة)».

وهذا المتن سجل يلتجئ فيه صاحبه إلى الإله «أمنحتب» (الملك أمنحتب الأول) الذي كان يعد إله قرية العمال وجبانتهم (راجع مصر القديمة ج ٤) ليحصل على حكم قانوني بالبيت الذي عليه النزاع.

وقد أكد لنا المدعي «كننا» أنه مُنع ظلماً من اتخاذ مسكنه في المكان المعروف باسم «بيت بixel» الذي هدم وأعاد هو بناءه. أما المدعى عليه وهو شخص يُدعى «مرسخت»، فقد ادعى أنه استشار الإله (أي «أمنحتب الأول» الذي كان يعد وقتئذ إله الجبانة) فأكد له أن البيت كان قسمه بينه وبين «كننا». هذا على الرغم من أن «مرسخت» كما قيل ليس له أي شأن في إعادة بناء البيت. ومما يؤسف له أن معظم وجه «الإستراكون» بعد

^{٥٨} راجع: J. E. A. Vol. XII, p. 181 ff.

الجواب المزعوم الذي فاه به «أمنحتب» لصالح «مرسخت» قد فُقد، ولا نعلم إذا كان ما قد بقي لنا من هذا المتن هو بعض أو كل جواب الإله، وعلى أية حال فإن من المحتمل أن يكون الفرض الصحيح هو الأخير، وعندما فرغ «كننا» من الكلام كرر كاتب الجبانة «حور شري» أن ما ادعاه أمام الإله هو الذي حققه له جوابه.

وقد نُطق بالوحي في حضرة «كننا» وفي حضرة عدد من الأشخاص منهم حاملو قارب الإله في باب مقبرة رئيس العمال «قاحا». ويلاحظ أن ذكر حاملي قارب الإله في هذه المناسبة، وذكر مدخل المقبرة يفهم منه أن التجاء «كننا» كان مثله كمثل التجاء «أمنويا» قد عمل في أثناء حمل تمثال عبادة الإله في موكب، وأن هذا الموكب قد اخترق الجبانة نفسها؛ يضاف إلى ذلك أن عبارة «كل الناس العمال» يعني اجتماع العمال، وأن هذا الاجتماع لا يكون إلا في مناسبة كمناسبة عيد عام. وبدهي من ذلك إذا إن اليوم الأخير من الشهر الرابع من فصل الزرع (أخت) لا بد أن يضاف إلى أيام الأعياد التي كان يحتفل فيها بالإله «أمنحتب الأول».^{٥٩}

(٣-٤) مقبرة «رمسيس الرابع» وتصميم ورقة «تورين»^{٦٠}

منذ حوالي ثلاث وثمانين سنة وضع أمام العالم الأثري «لبسيوس» تصميم مقبرة ملكية في «طيبة»، وقد عثر على هذا التصميم بين ذخائر أوراق البردي المحفوظة الآن بمتحف «تورين»، وإلى ذلك العهد كانت معظم مقابر «وادي الملوك» من عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين معروفة، ونُشر تصميمات عدد منها في المؤلف الذي خُلد حملة «نابوليون» على مصر. وقد فحص «لبسيوس» هذا التصميم الذي عثر عليه بين أوراق البردي في «تورين»، ووجد أن مقاييسه تتفق ومقاييس قبر «رمسيس الرابع». غير أن المقاييس المفصلة التي كانت في متناوله عن المقبرة نفسها لم تكن دقيقة. وقد تناول بعده بعض العلماء فحص هذه المقاييس، ونخص بالذكر منهم «شاباس» و«مريت»، ثم عاد «لبسيوس» عام ١٨٨٤م وتناول الموضوع بالبحث على ضوء المقاييس التي عملها «مريت». ومنذ ذلك العهد تُرك تصميم «تورين» في زوايا النسيان، على الرغم من العناية

^{٥٩} راجع: Ibid p. 181..

^{٦٠} راجع: J. E. A. Vol. IV. p. 130 ff.

العظيمة التي خصت بها مقابر «أبواب الملوك» آنئذ. على أن الإهمال الذي خصت به هذه الورقة لم يختلف عن الإهمال، الذي يشمل هذا الكنز العظيم من أوراق البردي المحفوظة في متحف «تورين»، ومعظمها من عهد الرعامسة، إلى أن قام بنشر بعضها حديثاً بعض العلماء، وقد قام أخيراً بدرس هذا التصميم كل من الأثريين «كارتر» والأستاذ «جاردنر» معاً. والأخير يعد من أبرز علماء اللغة المصرية في عصرنا، وقد أخذ «كارتر» على عاتقه عمل المقاييس كما درس المتن في الأصل الأستاذ «جاردنر»، وقد أعطى المتن الذي على ظهر الورقة عناية خاصة، ووجد أنه يحتوي على مقاييس لم تكن معروفة من قبل.

وقد فحص الأستاذ «جاردنر» الذي كتب المقال في فقرتين منه وجه الورقة وهما خاصتان على وجه عام بترجمة النقوش، وكتب فقرة ثالثة قرن فيها المعلومات التي في وجه الورقة بالمعلومات التي يمكن استنباطها من طبيعة القبر الأصلي، واستخلص منها النتائج التي أمكنه استنباطها كما سنورده هنا.

وجه الورقة: لم يبق لدينا من ورقة «تورين» الخاصة بتصميم مقبرة «رعمسيس الرابع» إلا جزء صغير يبلغ طوله ستة وثمانين سنتيمتراً، وارتفاعه أربعة وعشرين ونصف سنتيمتر، وقد دل فحص التصميم الذي على وجه الورقة على أنها كانت في الأصل حوالي متر ونصف متر طولاً، وحوالي خمسة وأربعين سنتيمتراً ارتفاعاً.

وقد مثل جانب التل الذي قطع فيه القبر على الورقة بلون خاص، إذ رمز له بسطح بني اللون مغطى بعدد عظيم من النقاط التي على شكل أسماط خرز منظمة في خطوط مائلة متوازية حمراء وسوداء على التوالي. وهذه طريقة تقليدية تشبه التهشير (التظليل) في وقتنا الحاضر. وقد عثر الأثري «دارسي» على تصميم آخر من هذا النوع لمقبرة «رعمسيس التاسع» على قطعة من الحجر الجيري محفوظة الآن «بالمتحف المصري»،^{٦١} غير أنه في التصميم الأخير لم يحاول الرسام تمثيل جانب التل. وأحسن موازنة للاصطلاح المتبع في تصميم ورقة «تورين» هو ما نشاهده في مناظر الصيد المصورة على جدران مقابر «طيبة» وغيرها، حيث نجد التلال المنحدرة مصورة باللون الأحمر الملطخ بلون أحمر آخر أغمق من السابق، وآخر أزرق لتمثيل الصحراء المتموجة السطح، وتصوير الصحراء بهذه الكيفية لا يمتد إلا لمسافة يمكن فيها الحيوانات البرية إرخاء العنان لسيقانها، أما اللطخ

^{٦١} راجع: Daressy, Ostraca. Pl. XXXII No. 25, 184.

الملونة فيحتمل أنها تمثل الحصى الذي على سطح الصحراء أو الحبيبات المختلفة التركيب، التي يتألف منها الرمل نفسه.^{٦٢}

والشكل العام للرسم يدل على أنه تصميم سطحي، Ground-Plan، وأما رسم الأبواب فقد رفع بالرسم كأن الأبواب منصوبة على الأرض، وقد حاول الرسام المصري — كعادته — أن يصل بدون الرسم المنظور إلى كل الميزات التي تجنى من الأخير.

وقد وزن «لبسيوس» بحق رسوم قصر «إخناتون» في «تل العمارنة»، وما يماثلها من الرسوم برسم تصميم المقبرة،^{٦٣} وقرن بين الطريقة المصرية هنا وبين البلاد والمباني في مخطوطات العصور الوسطى التي ترى كأنها مرسومة من الجو.

ولم يطمح المصري إلى عمل رسوم على حسب نسبة مقياس رسم، فقد كان يكفي عنده أن تكون حجراته قد رسمت في تصميمه بالترتيب الصحيح، مع تقدير تقريبي للصورة والنسب الحقيقية.

وكانت كل التفاصيل تترك للمتون المفسرة لشرحها ومعرفة أبعادها؛ فنجد مثلاً أن الممر Z في تصميم ورقة «تورين» قد رسم بنفس الحجم الذي رسم به الممر W، مع أنه يوجد بين الاثنين فرق حوالي أحد عشر ذراعاً في الطول، ويظهر عدم التناسب بصورة بارزة كذلك إذا قرنا بين الكوة W. D. والحجرة الجانبية Z. D. ففي الرسم نجد أنهما متساويان تقريباً، غير أن النقوش تحدثنا بأن Z. D. عمقها عشر أذرع على حين أن W. D. لا يزيد طولها عن ذراع واحد وشبرين.

ويلاحظ أن سمك ممرات الأبواب لم تظهر على التصميم، ويحتمل أن رسمها مرفوعة كان يعد كافياً. وقد لونت كل الأبواب باللون الأصفر في كل من تصميم «تورين»، والتصميم الذي حصل عليه «دارسي» لمقبرة «رمسيس التاسع». ولا نزاع في أن الأبواب قد لونت بهذا اللون؛ لأنها كانت من الخشب، وكانت كلها مزدوجة، وتغلق بواسطة مزليج ما عدا بابي Z. C. & Z. D. وقد وضع التابوت في وسط الحجرة Y، وهو على شكل طغراء ملون بلون مائل إلى الأحمر البني المرقط بالأسود تقليداً للجرانيت الأحمر، ولا يزال التابوت الأصلي في القبر، وهو من الجرانيت الأحمر الوردي؛ وقد صُوِّر على الغطاء صورة الملك بين الإلهتين «إزيس» و«نفتيس»، كما مثل في تصميم ورقة «تورين» وحول التابوت ستة مستطيلات

^{٦٢} راجع: Davies-Gardiner, Tomb of Amenmhat. Pl. IX p. 31.

^{٦٣} راجع: Wresz. Atlas zur, Altgypt. Nos. 3, 73, 74, 75.

ملونة بلون أصفر، الواحد داخل الآخر، وقد قال عنها «لبسيوس»: إنه من المحتمل أن تكون درج سلم، غير أنه قال بعد ذلك: إن رفع التابوت على درج لم يصادفه في مقابر «أبواب الملوك». ومع ذلك فإن الرأي القائل بأن هذه المستطيلات الصفراء تمثل درج سلم أمر محتمل، ولكن لا بد أن نتخيل أنه كان درجًا مؤقتًا، وأنه أقيم على ما يظهر للوصول إلى التابوت في يوم دفن الملك. أما تلوينه بالأصفر فيدل على أنه صنع من الخشب، وهذا حل معقول جدًّا؛ لأن التابوت بدون غطاءه يبلغ ارتفاعه حوالي ثماني أقدام، فلم يكن في الإمكان إنزال المومية في مكانها، كما لا يمكن إقامة الشعائر الختامية بدون درج كالذي رسم في التصميم.

والآن نعود إلى ذكر الكتابات الدينية التي تصف لنا أجزاء القبر المختلفة كما جاءت في الورقة.

الدھليز أو الممر الرابع: هذا الممر معلم بحرف W على التصميم. ويشير الحرفان W. A. إلى الباب الذي كتب عليه العبارة التالية: «بابه مغلق». وهذه العبارة تعني إما أن الباب قد أغلق بعد إتمام المقبرة أو أن هذا الباب يمكن إغلاقه بمزلاج. ويشير الحرفان W. B. إلى المتن الذي كتب على طول الممر كله فوق الباب وهو «الممر الرابع، وطوله ٢٥ ذراعًا، وعرضه ست أذرع، وارتفاعه تسع أذرع وأربعة أشبار، وقد رسم رسمًا تخطيطيًا ثم حفر بالإزميل وملئ بالألوان وأنجز».

ويشير الحرفان W. C. إلى المتن المكتوب في داخل الخطوط الداخلية التي تعلم بداية انحدار التابوت. وقد فسر لنا ذلك «لبسيوس» على حسب رسم القبر الذي عمله «مريت»، إذ يلاحظ أنه من وسط الممر W قد رسمت خطوط داخلية تستمر داخل الممر X إلى أن تصل إلى حجرة التابوت، وقد قال «لبسيوس»: إن المقصود بذلك هو انحدار التابوت بالقرب من وسط الممر W انحدارًا طوله عشرون مترًا وعرضه خمس أذرع وشبر.

ويشير الحرفان W. D. إلى نقوش الكوة، وهاك النص: «هذه الحجرة طولها ذراعان، وعرضها ذراع وشبران، وعمقها ذراع وشبران».

قاعة الانتظار المعلمة في التصميم بحرف X: يشير الحرفان X. B. إلى اسم كل الحجرة X وقد كتب على الجزء الأعلى منها المتن التالي: «قاعة الانتظار، طولها تسع أذرع، وعرضها ثماني أذرع، وارتفاعها ثماني أذرع، وقد رسمت رسمًا تخطيطيًا ثم حفرت بالإزميل وملئت بالألوان وأنجزت».

ويلاحظ أن اسم قاعة الانتظار أو الاستقبال لا يوجد على وجه ورقة «تورين» وحدها بل يوجد كذلك على تصميم «إستراكون» المتحف المصري، حيث تدل على أول حجرة من

ثلاث الحجرات التي تتألف منها النهاية الداخلية لقبر «رمسيس التاسع»، وهذا القبر يختلف عن قبر «رمسيس الرابع» في أن حجرة التابوت فيه تقع في أقصى نهاية القبر وهي مفصولة بقاعة ذات عمد عن قاعة الانتظار، ولا نزاع في أن الاسم «قاعة الانتظار»، كان الغرض منه الدلالة على المكان الذي يمكن لأقارب الملك ورجال الحاشية والرعايا الانتظار فيها، قبل أن يسمح لهم بالدخول إلى حجرة الفرعون العلية.

ويشير الحرفان X, C إلى المتن الخاص بنهاية الانحدار البارز بعد مدخل حجرة التابوت، وهاك المتن: «نهاية انحدار التابوت ثلاث أذرع». وهذا المتن كما يظهر قد وضع في غير مكانه الصحيح؛ وذلك لأن المكان الذي كان يجب أن يكون فيه قد حفظ على حسب كل السوابق في الرسم التخطيطي المصري؛ لأجل الباب الواقع بين X & Y.

حجرة التابوت المرقومة بحرف X في التصميم: يشير الحرفان Y, A إلى المتن الذي

بجانب الباب وهو: «بابه مغلق». وهذا الباب هو باب حجرة الانتظار على ما يظهر. ويشير الحرفان Y, B إلى المتن الخاص بوصف كل الحجرة، المكتوب على جانبها الأعلى وهو: «بيت الذهب الذي يثوي فيه الواحد (الملك) طوله ست عشرة ذراعًا، وعرضه ست عشرة ذراعًا، وارتفاعه عشر أذرع، وقد رسم رسمًا تخطيطيًا وحفر بالإزميل، وملئ بالألوان وأنجز، وقد جهز بالمعدات الخاصة بجلالته «وأنه يعيش ويسعد في صحة» على كل جانب منها مع التاسوع المقدس الذي في العالم السفلي (دوات).»

وتشير عبارة «بيت الذهب» هنا إلى حجرة الدفن؛ لأن ملوك مصر كانوا يدفنون ومعهم كل حليهم وكل الأشياء الغالية حولهم. وقد فسر «كارتر» هذه العبارة بأن اللون الأساسي للحجرة كان الأصفر الغامق، وهو اللون العادي لهذه الحجر؛ ولذلك سميت «بيت الذهب» والتعبير بالأصفر عن الذهب معروف لدينا (الأصفر الرنان). وتشير عبارة «مع التاسوع المقدس الذي في العالم السفلي» على ما يظهر إلى صور الآلهة المصنوعة من الخشب المطلي بالقار وهي خاصة بالمدافن الملكية، أو قد تشير إلى صور الآلهة الخاصين بالمقابر الملكية، وهم الذين يرسم عدد عظيم منهم على جدران هذه المقابر، ولكن سنرى بعد أن الآلهة كان لها محاريب في القبر لتوضع فيها.

ويشير الحرفان Y, C إلى المتن الذي يرمز إلى Y, B في التصميم. وهاك الترجمة:

«المجموع مبتدئًا من الممر الأول حتى بيت الذهب = ١٣٦ ذراعًا وشبران.»

ويشير الحرفان Y, D إلى المتن الذي تحت Y, E، وهو «مبتدئًا من بيت الذهب إلى الخزانة التي في أقصى الداخل = ٢٤ ذراعًا وثلاثة أشبار، فيكون المجموع مائة وستين ذراعًا وخمسة أشبار.»

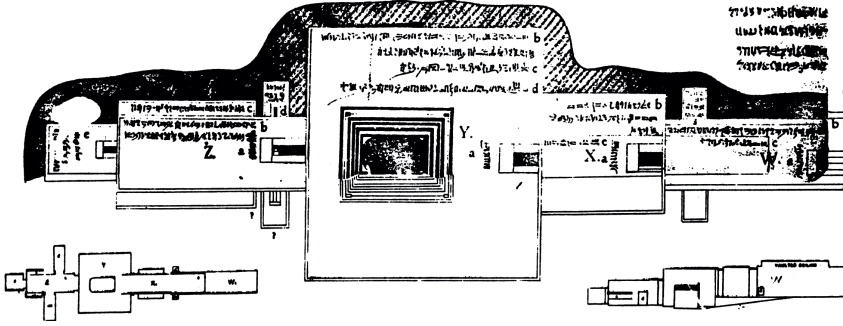
ويقدّم لنا المجموعان الأولان مقدار الأبعاد من مدخل القبر حتى حجرة التابوت، ومن حجرة التابوت حتى نهاية القبر، وهذان البعدان هما الطول الكلي للقبر وهو ١٣٦ ذراعًا وشبران + ٢٤ ذراعًا وثلاثة أشبار = ١٦٠ ذراعًا وخمسة أشبار.

الممر الداخلي المرقم بحرف Z في التصميم: يشير الحرفان Z. A. إلى المتن المكتوب بجانب الباب وهو: «باب مغلق». ويشير الحرفان Z. B. إلى المتن المكتوب على طول الجانب الأعلى للممر وهو: «الممر الذي في مكان التماثيل المجيبة، وطوله أربع عشرة ذراعًا وثلاثة أشبار وعرضه خمس أذرع، وارتفاعه خمس أذرع وثلاثة أشبار وأصبعان، وقد رسم رسمًا تخطيطيًا وحفر بالإزميل وملئ بالألوان وأنجز، وكذلك الجهة الجنوبية منه.» ولا نزاع في أن الاسم الذي أعطي للممر Z الداخلي غير ملائم؛ لأنه يمكن البرهنة بطريقة عملية صحيحة على أن المكان الذي كانت تخزن فيه التماثيل المجيبة الصحيحة لم يكن الممر بل الحجرتين Z. d, Z d d اللتين على جانب الممر (راجع J. E. A. Vol. 4 p. 140-1).

ويشير الحرفان Z. C إلى المتن الذي كتب على الكوة الشمالية من الممر وهو: «مكان استراحة الآلهة وطوله أربع أذرع وأربعة أشبار، وارتفاعه ذراع واحدة وخمسة أشبار، وعمقه ذراع وثلاثة أشبار وأصبعان.»

ويلاحظ في الكوة Z. C. هذه، والكوة Z, CC أنهما قد قطعتا في الجدارين الشمالي والجنوبي للممر الداخلي على ارتفاع نحو متر من الأرض، وقد زينت جدرانها بصور محاريب صغيرة تحتوي على آلهة مختلفين من بينهم الآلهة «تحت» و«أنوب» و«خنوم» و«سبك» و«بوتو». ويرى فوق المحاريب أن الكوات قد حفرت إلى عمق كبير، وزينت بصور حصر صغيرة ورغفان وطاسات ماء، وكان يحلي كل محراب حصيرة. ولا نزاع في أنه عندما نعد اسم «مكان راحة الإله» مقترنًا بالصورة التي في داخل الكوات، فإن ذلك يدل على أنها كانت مستعملة بمثابة مأوى للمحاريب الملونة، كالمأوى الذي كُشف عنه في مقبرة «يويا» والد الملكة «تي» زوج «أمنحتب الثالث». على أنه من المحتمل أن هذه المحاريب كانت تحوي صور آلهة من الخزف المطلي أو المعادن الثمينة، وكان الطنف يوضع في أعلاها مع قربان قليلة، وبهذه الطريقة كان في استطاعة الملك أن يحرر نفسه من أعباء واجباته الدينية في حياته التي جددت بعد الموت. ويشير الحرفان Z. d إلى النقش الذي في الحجرة الجانبية وهو:

«الخزانة التي على اليد اليسرى، وطولها عشر أذرع، وعرضها ثلاث أذرع، وارتفاعها ثلاث أذرع وثلاثة أشبار.»



شكل ٢: تصميم مقبرة رمسيس الرابع عن الأصل المصري القديم ورقة بردي بمتحف تورين.

والخزانة التي على اليد اليسرى هي كما رأينا من قبل الحجرة Z. d المستعملة مخزناً لتماثيل الفرعون المجيبين، ويلاحظ أن كلمة «خزانة» قد استعملت بمعنى «مخزن» وحسب.

ويشير الحرفان Z. e إلى النقش الذي في نهاية الحجرة Z. e وهو: «الخزانة التي في النهاية القصوى الداخلية طولها عشر أذرع، وعرضها ثلاث أذرع وثلاثة أشبار، وارتفاعها أربع أذرع.» وتدل نقوش هذه الحجرة على أنها كانت مخزناً لأواني الأحشاء، ولقطع أخرى من الأثاث المنوع. والمتن المرقوم بحرف b يسمى هذه الحجرة اسماً آخر، وهو «الممر الثاني الذي في نهاية بيت الذهب.»

أما المتن الذي يرمز له بحرف b، فيحتوي على أربعة أسطر كتبت مقلوبة في النهاية القصوى من الجانب الأيمن لتصميم المقبرة. وهذه الأسطر — كما قلنا — تشتمل على إيضاحات أخرى عن الممر Z والحجر الثلاث التي تؤدي إليه. ومما يؤسف له أن نهاية هذه الأسطر مفقودة، وبذلك أصبح فهمها صعباً (راجع شكل تصميم المقبرة ٢).

المتن الذي على ظهر تصميم ورقة تورين: يدل الجزء الخاص بالمقاييس في المتن الذي على ظهر تصميم «ورقة تورين» على أن لا علاقة له بالتصميم الذي على وجه الورقة، وقد درس الأستاذ «جارندر» هذا المتن على هذا الزعم، وكان كل علماء الآثار الذين درسوا هذه الورقة قد أغفلوه (J. E. A. Vol. 4 p. 144 ff)، وقد استنبط منه بعض حقائق لا تزال موضع شك. ويحتمل أن هذه المتون خاصة بمقبرة أخرى، ويفهم من البحوث التي

عملت في مقابر «وادي الملوك» أنه يوجد قبر بدئ في نحته في عهد «رعمسيس الخامس»، وتم العمل فيه في عهد «رعمسيس السادس»، وهذا هو القبر رقم ٩ على حسب ترقيم «لبسيوس»، ولم ينشر لهذا القبر تصميم بمقاييس مضبوطة حتى الآن، ونحن نعلم من جانبنا أن قبري «رعمسيس الخامس» والسادس، وكذلك قبر «رعمسيس التاسع» يحتوي كل منها على أربعة ممرات، تنتهي كل منها بحجرة انتظار مثل مقبرة «رعمسيس الرابع»، غير أنها تختلف عن الأخيرة بأن لها قاعة ذات عمد بعد قاعة الانتظار. والمتون التي على ظهر الورقة التي نحن بصدها قد توحى بأنه قبر «رعمسيس الخامس».

وأخيراً قرن الأستاذ «جاردنر» النتائج التي وصل إليها من درس تصميم ورقة «تورين»، والقبر الأصلي ووصل منها إلى نتائج مرضية. وقد كان المفهوم من قبل أن هذا التصميم بعيد عن الدقة كل البعد. بيد أن المقاييس التي أخذها الأثري «كارتر» لهذا القبر تنفي هذا الزعم إلى حد بعيد؛ فقد وجد أنه من بين سبعة وعشرين مقياساً تتفق خمسة عشر منها في كل من الطبيعة والورقة، وثمانية صحيحة إلى حد بعيد، وأخطاؤها بسيطة جداً تعد بمقياس بضع أصابع.

أما أربعة المقاييس الباقية فنجد أن خطأها في الورقة ظاهر. ولا توجد لذلك أسباب مقبولة.

وهذه النتيجة المرضية تتعارض مع ما وصل إليه «لبسيوس» في بحثه الأخير؛ ويرجع سبب الاختلاف إلى عدم وجود تناسب في مقاييس أبعاد القبر، وبخاصة مقاييس حجرة التابوت وهي المقاييس التي أخذها كل من «كارتر» و«مريت» وقد اعتمد «لبسيوس» على مقاييس «مريت»، وهي التي لوحظ أن بعضها خاطئ، هذا إلى أخطاء حسابية وقع فيها «لبسيوس» نفسه.

وصف مقبرة «رعمسيس الرابع» وما على جدرانها من مناظر: تحدثنا فيما سبق عن تصميم مقبرة «رعمسيس الرابع»، كما رسم في ورقة «تورين» وقرناه بالمقبرة الأصلية، والآن ننتقل إلى وصف ما على هذه المقبرة من مناظر دينية.

موقع القبر: يقع قبر «رعمسيس الرابع» في الجهة الغربية من الطريق الرئيسي خارج الحاجز الحالي، وتدل شواهد الأحوال على أن محتويات هذا القبر قد سُرقت بعد دفن هذا الفرعون ببضع سنين فقط؛ وذلك لأن الكهنة عندما نقلوا أول طائفة من الموميات الفرعونية إلى مقبرة «أمنحتب الثاني» لم يجدوا إلا تابوت هذا الفرعون، وقد أخفوه بكل تدبير، ويحتمل أن المومية كانت قد جردت من قبل.



شكل ٣: مومية «رمسيس الرابع».

ويقول «مسبرو» عن مومية هذا الفرعون ما يأتي:^{٦٤} (Maspero, Guide 1915 p. 404) يبلغ طول مومية الفرعون «رمسيس الرابع» مترًا وستين سنتيمترًا، والتابوت الذي كانت فيه المومية ملون باللون الأبيض وهو للفرعون «رمسيس الرابع» وقد كشف عنها «لوريه» سنة ١٨٩٨ في مقبرة «أمنحتب الثاني». وقد وجد من فحص الجمجمة أن هذا الفرعون كان يبلغ من العمر أكثر من خمسين عامًا عند وفاته، وقد كان فضلًا عن ذلك أصلع الرأس تمامًا، ولم يتبق من شعره إلا إطار خفيف على صدغيه وقذاله؛ وكان الجسم عند فحصه في حالة جيدة، وقد ظهر على الرأس عند القمة فتحة مثلثة تقريبًا عملت بعد الوفاة، ولا شك أنها قد عملت كما يعتقد المصري القديم لنزع الروح أو الأرواح الشريرة،

^{٦٤} راجع: The Royal Mummies p. 87 ff & Pls. LIII, LIV, & LVII.

التي سببت مرض الموت لتخرج. ونشاهد مثل هذه الظاهرة في مومية الفرعون «مرنبتاح» (راجع Maspero Ibid p. 411).

ويقول «أليت سميث»: إن هذه المومية هي إحدى الموميات التي وجدها «لوريه» عام ١٨٩٨ في مقبرة «أمنحتب الثاني»، وقد فكت لفائفها في ٢٤ يونيو سنة ١٩٠٥ بمتحف القاهرة. وقد جرد اللصوص الأقدمون المومية من كل أكفانها، وقد أعيدت لها أكفانها في الأسرة التالية، وكانت بعض خرق وضعت حول المومية مع بعض لفائف بسيطة لحفظ هذه الخرق في مكانها. وأخيراً وضع كفن حول هذه الخرق، وقد كتب اسم «رعمسيس الرابع» بالمداد الأسود على هذا الكفن الخارجي، وكذلك على غطاء التابوت الخشبي الذي وجدت فيه المومية. وكان طول «رعمسيس الرابع» ١,٦٠٢ متر، وكان أصلع تقريباً ولم يبقَ له من الشعر إلا إطار ضيق باقٍ على صدغيه والقفا. وقد دل فحص عظامه على أن عمره لا يقل عن خمسين سنة ويحتمل أكثر. والجسم لا يزال في حالة جيدة غير أن اللفافات قد لصقت بالجلد. وكان وجهه حليقاً تماماً ويحتاج إلى عدسة ليرى بها الإنسان مكان منابت الشعر المخلوق على الشفتين والذقن.

وفي كل عين من العينين اللتين قد انتزعتا وجدت بصلة صغيرة موضوعة تحت الجفن؛ لتحاكي العين الحقيقية. وقد كان نجاح هذه العملية أكثر مما كان يتصوره الإنسان. فقد كان لون البصلة المجففة الأصفر التي وسعت الجفنين يتناسق مع لون الجلد، وأصبح مظهر الوجه طبيعياً.

وقد كان استعمال العين الصناعية تجديداً معروفاً متبعاً في عهد الأسرة العشرين، وأصبح عادة متبعة فيما بعد.

ويلاحظ أن الجزء اللين من الأنف قد فرطحته لفائف المحنط، غير أنه مما لا شك فيه أن «رعمسيس الرابع» كان أقنى الأنف مثل أسلافه ملوك الأسرة التاسعة عشرة، هذا بالإضافة إلى أسنانه العليا البارزة التي تشبه أسنان ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وكذلك «سيتي الثاني» من الأسرة التاسعة عشرة.

وقد فتح هذا القبر في عهد البطالمة، وقد وجد على جدرانها كذلك نقش باللاتينية من العهد الإمبراطوري الروماني خط بسرعة؛ هذا إلى صورة من العهد ...

ويوصل إلى مدخل هذا القبر سلم قديم ذو سطح مائل، ويشاهد في أعلى المدخل الرئيسي قرص الشمس، وبداخله صورتا إله الشمس الأولى برأس كبش، وهو إله الشمس عند الغروب، والأخرى إله الشمس المشرقة في صورة جُعل، وترى على جانبي قرص الشمس الإلهتان «إزيس» و«نفتيس» يتعبدان له.

ويشاهد في الدهليز الأول على اليسار الفرعون يتعبد للإله «حرمخيس» برأس صقر وقد مثلت الشمس مارة بين الأفقين. ويأتي بعد ذلك متن أنشودة للشمس تتألف من خمسة وأربعين سطرًا، وتسمى كتاب «مديح رع» ويحتوي الدهليز الثاني على نقش طويل يتحدث عن عبادة «رع».

وفي الدهليز الثالث صور خرافية ومتون من كتاب «ما يوجد في عالم الآخرة»، وكتاب الكهوف وهما من الكتب التي تصور عادة في المقابر الملكية.

بعد ذلك ينتقل الزائر إلى الدهليز الرابع فيشاهد على جدرانه متونًا طويلة تتألف منها الفصول من ١٢٣-١٢٧ من كتاب الموتى، وهذه الفصول تحدثنا عما يقوله المتوفى يوم الحساب أمام «أوزير»؛ ليبرئ نفسه من الخطايا والذنوب.

ويدخل بعد ذلك الزائر حجرة الدفن التي كان يثوي فيها الفرعون، وقد كسرهما للصوم في الأزمان القديمة ونهبوا محتوياتها كما ذكرنا من قبل، ويبلغ طولها إحدى عشرة قدمًا ونصف قدم، وارتفاعها تسع أقدام، وقد نقش على جدرانها مناظر تستحق الملاحظة، فنشاهد على الجدار الأيسر صور الفصلين الأول والثاني من «كتاب البوابات» ومتونها، ونجد إيضاحًا للفصل الأول صورة الملك راكمًا أمام إله الشمس في القسم الأول من العالم السفلي مقدمًا له رمز العدالة. وترى أرواح الشريرين الذين وضعهم الإله «أتوم» في الأغلال، ويشاهد أن بعضهم قد خر صريعًا. وفي الفصل الثاني نشاهد ثانية إله الشمس الذي كان قد مر الآن بالبوابة التي يحرسها ثعبان إلى القسم الثاني من العالم السفلي، وهنا نشاهد الإله «أتوم» متكئًا على عصاه يلاحظ الثعبان الشرير «أبوفيس» الذي أصبح لا حول له ولا قوة، وامتنع عنه إصدار أي أذى بتعاويز خاصة تليت عليه.

والفصل الثالث من هذا الكتاب نقش على الجدران اليمنى لهذه الحجرة، ووضح بالصور، فنرى أن قارب الشمس قد دخل الآن القسم الثالث من العالم السفلي، وهنا نشاهد من بين الصور اثنتي عشرة إلهة فصلت بثعبان إلى نصفين كل منهما ست، وهي تمثل ست ساعات قبل منتصف الليل ثم ما بعده، وهذا الجزء من الشعائر ينتهي بالفصل الرابع من كتاب البوابات، عندما يكون قارب الشمس قد انتقل إلى القسم الرابع من العالم السفلي.

ويشاهد مصورًا على سقف هذه الحجرة الإلهة «نوت»، وعلى جسمها رسمت أبراج السماء.

وبعد حجرة الدفن دهليز نقش على جدرانه سياحة الشمس في العالم السفلي، ويلاحظ الزائر على عتب الباب المؤدي إلى الحجرة النهائية صورة سفينة الشمس موضوعة على

صورة «بولهول» مزدوج. كما نشاهد على جدران الحجرة الأخيرة صور سرير، وكربي، وصندوقين، وأواني الأحشاء العادية، ويحتمل أن هذه الأشياء كلها كانت موجودة فعلاً في هذه الحجرة وقت دفن الفرعون.

وقد استعمل هذا القبر في العهد المسيحي مقصورة عابد، ثم استعمل فيما بعد مكاناً يحج إليه؛ من أجل ذلك نجد نقوشاً من العهد المسيحي يبلغ عددها حوالي ٥٠ نقشاً، هذا بالإضافة إلى صورة القديس السالفة الذكر.^{٦٥}

(٤-٤) معبد «رعمسيس الرابع» الجنازي

لم يكشف حتى الآن عن معبد جنازي للفرعون «رعمسيس الرابع»، ولكن جاء في ورقة «فلبور» ذكر معبد جنازي باسم هذا الفرعون (Wilbour Pap. II p. 33) يسمى بيت ملايين السنين لملك الوجه القبلي والوجه البحري «حقا ماعت رع ستبن آمون في بيت آمون». وضياع هذا المعبد كما جاء في هذه الورقة كان تحت إدارة فرد يدعى «نفرعب» الذي توفي. وضيعة هذا المعبد كان يديرها النائب «إيا»، وإذا كان هذا المعبد الذي ذكر باسم «رعمسيس الرابع»، وهو الذي خصصت له فقرات في كل أقسام ورقة «فلبور» ليس هو المعبد الذي نسب بالظنة والحدس إلى «رعمسيس الخامس»، فإنه على هذا الزعم يكون إما المعبد الذي كشف عن بعض بقاياها كل من اللورد «كارنرفون» و«كارتر» أو هو المعبد الذي لم يكشف عنه بعد، وهو الواقع في الشمال من معبد «أمنحتب بن حابو»، وإلى الجنوب من «مدينة هابو». وهذا المعبد قد كشف عن بقايا منه منذ بضع سنين الأثريان «روبيشون» و«فاري» (راجع Revue d'Egyptologie III p. 99 ff). أما «نفرعب» المتوفى التي كانت هذه الضياع تحت إدارته، فيحتمل أنه كان عمدة «حارداي» القريبة من بلدة «الشيخ فضل» الحالية. وأما النائب «إيا»، الذي ذكر في ورقة «فلبور»، فربما كان هو الذي قد عين مؤقتاً لشغل الوظيفة الرئيسية التي كان يشغلها «نفرعب»، وسنتحدث عن الآراء التي أدلى بها عن معبد هذا الفرعون عند التحدث عن معبد «رعمسيس الخامس». وقد كان لهذا الفرعون ضياع وهبها معابد الآلهة المختلفة في أنحاء البلاد، جاء بعضها في ورقة «فلبور» نخص بالذكر منها ضياع أسسها للإله «سبك» القاطن في الفيوم، وكان

^{٦٥} راجع: Weigall Guide p. 196 ff.

يديرها الكاهن «سونر» (Wilbour Ibid p. 126). وفي بلدة «سمعه»، وجد له معبد يسمى معبد «رمسيس ماعت مري آمون» (راجع Wilbour Ibid 141 § 108 (Pleyte Pap. (De Turin p. 80).

(٥-٤) نقل تماثيل الملك «رمسيس الرابع»

ذكرت لنا ورقة محفوظة بمتحف «تورين»، نقل بعض تماثيل هذا الفرعون جاء فيها أنه قد عملت الترتيبات لتوريد القمح للعمال، وكذلك مهدت طريق طولها ثلاثون وسبعمائة ذراع، وعرضها خمس وخمسون ذراعاً، وكان انحدارها إلى أعلى ستين ذراعاً، وكذلك صنعت عشرون ومائة «روقات» (ويبلغ مساحة الروقات 7×30 أذرع من ألواح الخشب وعروقه، وكلمة روقات يظهر أنها مشتقة من الفعل السامي رق أو نشر، أو رقق؛ أي أصبح رقيقاً أو ربيعاً، وذلك يعني أن عروفاً من الخشب كانت توضع فوق الأديم، وتغطي بالألواح ليتمكن سحب التماثيل عليها بسهولة).

(٥) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «رمسيس الرابع»

(٥-١) الكاهن الأعظم «لامون» (رمسيس نخت) وأسرته

بعد أن اختفى «رمسيس الثالث» من مسرح الحياة آلت مقاليد الملك من بعده لابنه «رمسيس الرابع»، الذي لم يرث من والده صفة الملك الحازم، فانتهز كهنة «آمون» العظام فرصة ضعف أخلاف «رمسيس الثالث»، وأخذوا يستولون على السلطة في البلاد شيئاً فشيئاً إلى أن جمعوا مقاليد الملك في أيديهم، وكانت الخطوة الأولى في هذه السبيل أن تربع أفراد أسرة من الكهنة على كرسي رئاسة «آمون» في «طيبة»، وهذه كانت المرة الأولى في تاريخ أرض الكنانة، التي نجد فيها هذه الوظيفة تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن. ورئيس هذه الأسرة هو الكاهن الأول «لامون» المسمى «رمسيس نخت» في عهد الفرعون «رمسيس الرابع»، وقد خلفه كما سنرى من بعد اثنان من أولاده على التوالي وهما «نسآمون» ثم «أمنحتب»، والأخير هو الذي جاء قبل الكاهن والملك «حريحور» مباشرة.

والآثار التي تركها لنا «رمسيس نخت» تمدنا بمعلومات قيمة عن تاريخ حياته، ونخص بالذكر منها التماثيل اللذين عثر عليهما «لجران» في خبيثة «الكرنك». ويمتاز

أحدهما بدقة صنعه، ورشاقة شكله؛ فقد مثل مرتدياً ثوبه الديني الرسمي الفضفاض ذا الثنايا، وعلى رأسه الشعر المستعار الغزير الخاص.



شكل ٤: الكاهن الأعظم «لآمون» المسمى «رعمسيس نخت».

بعض الرعامسة، وقد مثل راکعاً وهو يقبض بين يديه على مائدة جلس عليها ثالث «طيبة». أما التمثال الثاني فعلى الرغم من أنه أقل رشاقة في صنعه من السابق فإنه يعد من أهم قطع النحت الممتازة، التي وصلت إلينا من مدرسة فن النحت الطيبية، وقد أصبح هذا التمثال الكلاسيكي يعرف بتمثال كاهن القرد — والقرد هنا هو الإله «تحوت» الذي كان يمثل أحياناً في صورة القرد — فقد مثل هذا الكاهن جالساً القرفصاء، وعلى حجره بردية منشورة أمامه، وعلى رأسه شعر مستعار ويرتدي ملابس رسمية، وكأنه كان يفكر أو يتلو صلوات في سره بحالة ذهول من الورقة التي أمامه. ويُرى جاثماً فوق كتفه قرد

صغير كثيف الشعر ينظر إليه من على رأسه، ومعنى ذلك أن الإله «تحت» هو الذي قد ظهر في هذا الوضع غير المعتاد، وقد كان من الصعب على المثال أن يوفق بين صورة الكاهن، وصورة هذا الحيوان بهيئة ليست زرية ولا قبيحة.

والواقع أن المثال خرج من تمثيل هذه الصورة على هذا الوضع بما يدل على براعته وقدرة افتنانه. ويلاحظ أن الكاهن في الصورة قد ثنى رقبته بعض الشيء، غير أن الإنسان يشعر أن الحيوان لم يضايقه بثقله، ومن جهة أخرى يرى أن القرد قد وارى نصفه خلف شعر الكاهن المستعار؛ أما محياه العابس الذي ارتسمت عليه سيما الازدراء فيحس منه الإنسان الأثر المقبض الذي يحدث من وضع وجه حيوان مستعار على وجه إنسان (راجع (Maspero, Archeol. Egyptienne p. 232 (1907).

وهذا التمثال الذي يعزوه «مسبرو» إلى أحد مصانع الحفر، التي كانت تحت إدارة كهنة «آمون» (انظر الشكل ٤) لم يكن ذا أهمية من الوجهة الفنية وحسب، بل يقدم لنا كذلك عن أسرة «رمسيس نخت» معلومات لم تصلنا من أي مصدر آخر. والواقع أننا نقرأ على ورقة البردي التي على حجر هذا الكاهن الأكبر والقابض عليها بيده ما يأتي: «من أجل روح الحاكم ومدير الأعمال الخاصة بكل آثار جلالة ورئيس كهنة كل آلهة «طيبة» وأمين أسرار الملك والشرف الأعظم على القصر الملكي (أي معبد مدينة «هابو») وأعظم الرائيين للآلهة «رع» في «طيبة»، والكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة المسمى «رمسيس نخت»، ابن القاضي، ومدير الضرائب، ورئيس كهنة كل آلهة «هرمو بوليس» وكاتم أسرار الملك، ومدير بيت رب الأرضين «مري باستت».

ومن ثم نعلم أن مسقط رأس والد «رمسيس نخت» هو بلدة «هرمو بوليس» (الأشمونين الحالية) وهذا يفسر لنا بوضوح السبب الذي جعل «رمسيس نخت» يمثل مع القرد في هذا الوضع الفريد في بابه، وهو الذي أصبح الكاهن الأكبر للإله «آمون» في «الكرك»، ومع ذلك فقد استمر في تقديس إله أجداده، فوضع نفسه تحت حماية الإله «تحت» الذي كان يمثل في صورة قرد، ويعد أعظم معبودات بلدة الأشمونين في كل عصور التاريخ المصري القديم.

ومن الجائز أن «مري باستت» والد «رمسيس نخت» كان من أصحاب الحظوة عند «رمسيس الثالث»، وفي عهد «رمسيس الرابع» أرسله في الحملة التي بعث بها في وادي «روأنا» في السنة الثانية من حكمه، وهو الذي نقش على صخور وادي حمامات اللوحات التي تحدثنا عنها فيما سبق.

ومما يلفت النظر في أمر هذا العظيم أن الفرعون لوثوقه فيه قد نصبه كاتم سره ومدير أملكه في الأرضين؛ مما جعله على اتصال مستمر بالقصر، وقد نقش على قاعدة هذا التمثال المهدي: «ابنه الأكبر الذي يجعل اسمه حيًا، الكاهن الأكبر «لأمون رع» ملك الآلهة «نسيآمون»». وهذا المتن الصغير له أهمية عظيمة؛ لا لأننا نعرف منه أنه كان يوجد كاهن أكبر «لأمون» يدعى «نسيآمون» وحسب؛ بل كذلك لأننا نفهم منه أن «نسيآمون» هذا قد ورث «رعمسيس نخت» في وظيفة الكاهن الأكبر «لأمون» في الكرنك مباشرة بعده. وقد أنجب «رعمسيس نخت» ولدين آخرين أحدهما يدعى «أمنحتب»، وهو الذي أصبح فيما بعد الكاهن الأكبر لأمون، والآخر «مري باستت» وكان منخرطًا كذلك في سلك الكهانة في الكرنك بلقب الكاهن والد الإله، وتزوج ابنه «ستاو» الكاهن الأول لآلهة الكاب. وقد أخطأ كل من الأثريين «فرشنسكي» و«فيل» عندما قالوا: إن «نفررنبت» وهو أحد أبناء «رعمسيس نخت» كان وزيرًا للفرعون «رعمسيس الرابع». ونسبة بنوة «نفررنبت» إلى «رعمسيس نخت» لا تركز على أي أساس. وقد تناول هذا الموضوع الأستاذ «لفبر» بالبحث، وأثبت أن «نفررنبت» لم يكن ابن «رعمسيس نخت» ولم يكن الأخير يومًا ما وزيرًا للفرعون «رعمسيس الرابع» ولا لغيره من الملوك، ولكن هذا لا يمنع أنه كان يوجد وزير بهذا الاسم كما ورد في «الإستراكون رقم ٢٥٢٤٤» المحفوظة بالمتحف المصري، غير أنه مع ذلك لم يحمل لقب الكاهن الأكبر للإله «أمون»؛ ولذلك فإنه ليس لدينا ما يدعو إلى الخلط بين هذا الوزير والكاهن سمييه، وبخاصة أن هذه التسمية كانت شائعة في عهد الأسرة العشرين. (Histoire des Grands Pretres p. 200).

ومن جهة أخرى توجد وثيقة نعلم منها أن الكاهن الأعظم «رعمسيس نخت» كانت له ابنة تدعى «عزوت» (?) وتحمل لقب رئيسة كهنة حظيات «أمون»، وهو لقب كانت تحمله أمها من قبلها. وقد تزوجت الأولى رجلًا يدعى «أمنمؤيت» وكان يحمل لقب الكاهن الثالث للإله «أمون»، وفي الوقت نفسه كان يلقب الكاهن أعظم الرائين للإله «رع» في «طيبة» والكاهن الأول للآلهة «موت»، وقد نقش على أحد جدران مقبرة هذا الكاهن منظر مثل فيه يتسلم مكافآت من الذهب والفضة في السنة السابعة والعشرين من حكم الفرعون «رعمسيس الثالث».

والظاهر على أية حال أن «أمنمؤيت» هذا قد مات قبل والد زوجته، وقد عاش عدة سنين بعد أن تسلم مكافأته هذه؛ لأننا وجدنا منقوشًا على جدار آخر من قبره طغراء «رعمسيس الرابع»، وعلى مقربة من المنظر الذي فيه يتسلم «أمنمؤيت» هداياه نجد امرأته

تقدم قريباً لوالدها الحاكم والكاهن والد الإله ورئيس الأسرار في السماء وعلى الأرض وفي العالم السفلي، ومدير البيت العظيم لقصر «رمسيس الثالث» في ضيعة «آمون» في غربي «طيبة»، والكاهن الأول «لآمون رع» ملك الإله «رمسيس نخت».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا المنظر يرجع عهده إلى عهد «رمسيس الرابع» أيضاً (راجع Porter and Moss I, p. 144).

ومن المحتمل جداً أن «رمسيس نخت» أصبح في هذا العهد كاهناً أول، وعلى أية حال فإن فترة توليته وظيفته الكهانة العليا كانت في عهد «رمسيس الرابع» وأخلافه. ومن الجائز أنه قد تقلد وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» دون أن يصعد إليها تدريجاً على حسب النظام المتبع، والظاهر أنه لم يتعدَّ في ترقيته في سلك الكهانة وظيفته الكاهن والد الإله مثل «منخبر رع سنبل»، ومثل «بتاح موسى» اللذين تحدثنا عنهما فيما سبق (راجع مصر القديمة ج ٤، ج ٥).

وهذه المرتبة كانت على ما نعلم كافية لأن تضيي على حاملها صفة الكهانة. على أن رقيه إلى أعلى مرتبة يصل إليها كاهن لم تنحصر فقط في أنه أصبح رئيس كهنة «طيبة»، والكاهن أعظم الرأئين للإله «رع-أتون» في «طيبة»، بل منح كذلك اللقب العظيم رئيس كهنة الوجه القبلي والوجه البحري، فكان مثله في ذلك كمثّل رؤساء كهنة «آمون» الأقوياء في عهد الأسرة الثامنة عشرة، وبعض الكهنة العظام في الأسرة التاسعة عشرة.

وقد كان متمتعاً بكل الحظوة الملكية، فكان يحمل لقب الأمين الكبير، والواقع أنه كان كاتم أسرار الفرعون مثل والده «مري باستت».

وكذلك كان مثله كمثّل أعظم كهنة «آمون» الأول يحمل لقب مدير أعمال العمارة، وبتقلده هذه الوظيفة لم يكن يدير الأعمال الخاصة بالإله «آمون» في الكرنك وحسب، بل كان كذلك مثل أسلافه «حابو سنبل» و«بتاح موسى» و«باكنخنسو» و«رومع روي» يدير كل أعمال العمارة في البلاد من مبانٍ ومقابر وتماثيل، مما كان الفرعون يأمر بإنجازها. وقد كان المهندسون الكهنة في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والعشرين، يقومون بإرسال البعوث إلى جبل السلسلة للبحث عن الأحجار اللازمة للمباني التي كانت تقام في المعابد وغيرها. ولكن «رمسيس الرابع» فضل إرسال البعوث لاستغلال محاجر «وادي روان»، وهو المعروف الآن «بوادي الحمامات» حيث يوجد نوع من حجر «الشست» (حجر بخن الجميل) وقد أرسلت هذه الحملة للكشف كما ذكرنا من قبل في السنة الثانية من حكم هذا الفرعون، ولم يذهب الفرعون على رأسها كما يقول «لفبر» وغيره. وفي السنة

التالية أرسل حملة حقيقية عظيمة بعض رجالها من جنود الحرب والبعض الآخر من العمال الفنيين، وقد بلغ عددها حوالي ٨٣٦٢ بما في ذلك الذين قضوا في أثناء الحملة، وقد بلغ عددهم ٩٠٠ رجل. وقد كان على رأسها — بأمر الملك — الكاهن الأعظم «لأمون» مدير أعمال الفرعون «رعمسيس نخت»، وقد كان يساعده كما قلنا من قبل مجلس أركان حرب يديره قائد تحت إمرته فرقة من المشاة يقول عنها «بركش»: إنها كانت مستعدة لخوض المعركة (راجع Brugsch, Die Aegyptologie p. 231).

وهذه الحملة كانت مجهزة بكل الأدوات اللازمة لجيش مستعد للقيام بحملة، فكان فيها المشرفون ورجال الخزانة ورجال الإدارة والأدلاء والحكام والمعدات، أما المفتنون في المناجم وقطع الأحجار والرسم والنحت، فقد بلغ عددهم حوالي ١٣٠ رجلاً تحت إدارة اثنين من مهندسي المناجم، وهما: «أمنوسى» و«باكنخنسو».

وقد ترك لنا أحد رجال هذه الحملة البارزين — وهو رئيس فرقة — لوحة كتبت باسمه في أسفل صخرة على حافة الطريق، وذكر فيها اسم «رعمسيس نخت» وسجل ذكرى حملته. وعلى الرغم من أن هذه اللوحة قد نقشت نقشاً خشناً وأن المتن في بعض الأماكن يحتوي أخطاء فإنه في مجموعه ظاهر وهو: «السنة الثالثة، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم السادس والعشرون ... ذهب قائد العربة ... «رعمسيس» (?) ابن مدير البيت «مري زدت» لأخذ الأحجار من المكان الصحيح مع مدير الأعمال الكاهن الأول «لأمون رع» ملك الآلهة «رعمسيس نخت».

وكان يتمتع هذا الكاهن الأعظم «لأمون» بنفوذ في «طيبة» ومصر، ولكن لا نجده يشغل أية وظيفة عامة غير وظيفة مهندس العمارة.

وقد حاول «فيل» أن يستنبط من «الإستراكون»^{٦٦} التي في متحف القاهرة أنه كان وزيراً؛ والواقع أن «رعمسيس نخت» لم يحمل هذا اللقب قط، كما أننا لم نجد هذا اللقب على أي أثر رسمي من الآثار التي تنسب إلى «رعمسيس نخت».

وقبر هذا الكاهن الأكبر كان محفوراً في تل «ذراع أبو النجا» وهو الآن مخرب تماماً، وقد وجدت منه بعض بقايا يظهر منها أنه كان قد اغتصبه وزير «رعمسيس» التاسع المسمى «نب ماعت رع نخت».^{٦٧}

^{٦٦} راجع: Weil. Die Zeiere p. 114 & p. 171.

^{٦٧} راجع: Gardiner & Weigall Topographical Cat. No. 293.

(٢-٥) الوزراء

ذكرنا فيما سبق أن «رمسيس نخت» رئيس كهنة «آمون» لم يكن يومًا من الأيام وزيرًا لهذا الفرعون ولا لغيره من ملوك هذه الأسرة.

نفرنبت

ذكرت هذه الشخصية بلقب وزير على عدة «إستراكا» كتب عنها «دارسي»، وقد جاء ذكره في عهد «رمسيس الرابع» في السنة الثانية والرابعة والسادسة، ويقال كذلك: إنه من المحتمل كان في عهد «رمسيس الخامس»^{٦٨} وكان يحمل لقب عمدة المدينة والوزير كالمعتاد ولكن في ذلك شك.

(٣-٥) مقبرة «أنحور خعوي» مقدم رب الأرضين في مكان الصدق في جبانة دير المدينة^{٦٩}

وصف «لبسيوس» قبر هذا الموظف في أثناء البعثة التي قام بها في مصر لتدوين الآثار المصرية والنوبية.

غير أن هذا القبر بقي مطمورًا إلى أن كشف عنه في حفائر دير المدينة^{٧٠} ثانية، وقد وجدت زخرفة القبر كلها مسودة بفعل النار، إلا أنه وجدت فيه مناظر غريبة لا تتفق مع الملخص الذي تركه لنا «لبسيوس»، وقد وجد متن كالشريط دائر حول المقبرة، ويمكن قراءة جزء كبير منه وفيه اسم «أنحور خعوي» ولقبه، فأصبح من المؤكد أن المقبرة له. وقد فحص ترتيب المقبرة ووجد أنه يتفق مع التخطيط الذي وضعه «لبسيوس»، غير أن القبر لا يزال يحتاج إلى تنظيف، وعلى أية حال فإن المزار الذي وصفه «لبسيوس» قد عثر عليه ثانية وكذلك حجرة الدفن والضريح، وهاك وصف المزار كما جاء في «لبسيوس» لما لهذه المقبرة من الأهمية من الوجهتين الدينية والاجتماعية معًا كما سنبين ذلك بعد.

^{٦٨} راجع: Weil. Die Veziere p. 115-116.

^{٦٩} راجع: L. D. T. III, p. 292.

^{٧٠} راجع: Fouilles de Dier el Medineh (1922-33) pp. 67-8 Plan Ibid Pl. XIV.

القاعة: يشاهد على يمين الداخل المتوفى بشعر متموج مرتدياً جلد فهد مقدماً البخور للملك الأسرة الثامنة عشرة، أو لبيت الملك «أمنحتب الأول» في صفين، ولكن ترتيب الصف الثاني بقي لغزاً.



شكل ٥

والظاهر أن هؤلاء الملوك الذين رسموا هنا كانوا مؤلهين عند الشعب المصري في تلك الفترة، وقد مثلوا في مقبرة «أنحور خعوي» في صفين بالترتيب التالي:

(١) «أمنحتب الأول». (٢) «نب بحتي رع» (أحمس الأول). (٣) الملكة «أعح حتب». (٤) الملكة «مريت آمون». (٥) الملكة «سات آمون». (٦) الملك «سا آمون». (٧) الملك «سات كامس». (٨) الملكة «حنت محيت». (٩) الملكة «تاو سرت». (١٠) الملكة «أحمس». (١١) الطفل «أوزير سابا إير».

وفي الصف الثاني (١) الملكة «أحمس نفرتاري» و«طغراؤها مهشمة»، ولكن يمكن التعرف عليها بلونها الأسود. (٢) الملك «بحتي من رع». (٣) الملك «نب خرو رع». (٤) الملك «أمنحتب». (٥) الملك «سقنن رع». (٦) الأمير «وازمس». (٧) الملك «حقا ماعت رع ستبن» (رعمسيس الرابع). (٨) ملك مهشم اسمه ... (٩) الملك «عاخبر وكارع»، وخلفهم



شكل ٦: الرسام «حوي».

الكاتب الرسام «حوي» يخط على لوحة بقلمه، وقد مثل راکعًا وجالسًا على منصة بصورة تلفت النظر (انظر الشكل ٥ و٦). والواقع أن صورة هذا الرسام تكاد تكون منقطعة النظير في كل الآثار المصرية، إذ إنها خارجة عن حد المؤلف، فقد صور بشعر طويل مسدل على ظهره وصدغيه، ومشط قدمه ظاهر تمامًا بصورة واضحة، يضاف إلى ذلك أن لون جلده لم يكن عاديًا، إذ صور باللونين الأحمر والأصفر، هذا إلى أن الإنسان إذا قرن بين هذه الصورة الراكعة والصور الأخرى الراكعة المعتادة في الفن المصري وجد الهوة سحيقة بينهما. وقد قرن الأستاذ «شيفر» هذه الصورة بصورة أخرى مماثلة لها مرسومة على قطعة من الحجر الجيري، عثر عليها بجوار هذا القبر وهي الآن «بمتحف برلين» (انظر الشكل ٦) وقد قال عنها: إنها ليست رسمًا تخطيطيًا للصورة الأصلية، وليست كذلك منقولة عن الصورة الأصلية. والواقع أن المثالين العظام الذين كانوا تحت إشراف الرسام عادة هم الذين كانوا يرسمون الصور على الجدران في المقابر أو المعابد^{٧١}

^{٧١} راجع: A. Z. Vol. 54, p. 77.

التي في جبانة طيبة، وهي التي كانوا يشتغلون فيها لأغراضهم الفنية على قطع من الحجر الجيري، ولكن هذه الصور كانت ترسم رسمًا تخطيطيًا مما دعا الأستاذ «شيفر» إلى الظن بأنها صورة من الذاكرة، وأنها بعيدة عن الأصل. ولكن ثمة حل آخر وهو أن الرسام قد رسم تصميمه وهو بعيد عنه، ولما لم يكن في هذه الحالة مقيّدًا بقواعد فمن الجائز أنه قد غير فيه على حسب ذوقه. وعلى أية حال سواء أكان التفسير الأول أو الثاني هو المقبول، فإن الفصل في ذلك متوقف بطبيعته على الصورة والأصل، وهل الأصل فريد في بابيه كما هي الحال في مقابر الملوك حيث نجد الأصل أمامنا، ومنه نقلت صور في مقابر متعددة للملوك؟

والواقع أننا نجد أن التخطيط مغاير بعض الشيء للصورة الأصلية على حسب ذوق الرسام، ومن هذا القبيل التخطيط الذي عثر عليه من عهد الرعامسة للرسام «حوي» بالقرب من الدير البحري، وهو الذي وضع بجوار الصورة الأصلية (انظر الشكل ٥، ٦). وهذه الصورة موجودة في القبر الذي نحن بصدد الآن وهو قبر «أنحور خعوي»، الذي عاش في عهد «رعمسيس الرابع» كما ذكرنا، وهي صورة المثال الذي رسم كل صورة من صور هذا القبر، ومن التوقيع الذي تركه لنا نعلم أن التخطيط الذي وجد على قطعة «الإستراكون» — التي عثر عليها بجوار هذا القبر — يمثلها أيضًا لأنه باسمه، والفرق بين الصورتين هو أنه في الصورة الأصلية التي على جدار المقبرة نجد أن الرسام رسم على لوحة في حين أنه في الصورة التي على «الإستراكون» يشاهد وهو يغمس قلمه في محبرة، ويكتب أو يرسم على ورقة في حجره، ويلاحظ كذلك أن المنضدة لا توجد في النسخة التي يجلس عليها «حوي»، كما نلاحظ بعض تغير عن الأصل في جلسته وكذلك في الثوب ذي الثنايا التي لا توجد في الثوب الأصلي وكذلك في وصف الشعر، هذا ويلاحظ فرق في تصوير القدم في كلتا الصورتين. والواقع أن الفرق عظيم بين الأصل والتقليد، حتى إن المرء لا يشك بحق في أن الصورتين لا تمثلان شخصًا واحدًا بعينه لولا أن توحيدهما قد أكد كتابة، فقد جاء على النسخة المصورة على قطعة الحجر الجيري: «الأمير الوراثي وكاتب الملك «حوي»». وكذلك تحمل هذا الاسم الصورة التي مثلت في قبر «أنحور خعوي»، وبهذا يكون ما اقترحه «لبسيوش» في تكملة الحرف المحو حق. والواقع أن كلمة «ربعتي» كانت تطلق غالبًا في هذا العهد على ولي العهد، غير أنه كان يستعمل كذلك لقب شرف؛ وهذه هي الحالة هنا لأن «حوي» كان على ما يظهر يحتل مكانة عليا، ولا يبعد أنه كان قد حظي بهذا اللقب، إذ كان يرسم للفرعون القطع الفنية الفريدة.

والرسام «حوي» قد عاصر كلاً من «رمسيس الثالث» و«رمسيس الرابع» في «طيبة»، حيث كان يقوم بأعمال الرسم والتصوير في جبانة «طيبة» وغيرها، وبخاصة المقبرة العظيمة التي نحن بصدها الآن. على أن قيمة هذا المفتن لا يمكن تقديرها من رسوم هذه المقبرة، بل صورته التي رسمها لنفسه وهي كما قلنا نسيج وَحْدِها. ومن كيفية تصوير شعره المرسل طبعياً، ومن إظهار أخمص القدم في الرسم نعلم أن هذه النزعة ترجع إلى عهد بداية الدولة الحديثة، حيث كانت محاكاة الطبيعة تلعب دوراً هاماً، وهذا الأسلوب الحر الذي مكن رسام إستراكون «برلين»، وجعله يشتمل عن الأصل في بعض النقط لم يجعله يحيد عن التمسك بإظهار الأجزاء البارزة في الصورة وهي الشعر الطبعي المرسل والقدم بصورتها الأصلية، سواء أكانت صورة منقولة عن الأصل أم كانت قد رسمت من المخيلة، وعلى كل حال فإنه يلاحظ في الصورتين أن الوضع قد تغير، ولكن الجوهر قد بقي محفوظاً فيهما مما يدل على أنهما من يد مفتن واحد ولمفتن واحد بعينه. نعود بعد هذا إلى إتمام وصف المقبرة فنقول: إن آخر ملك يدعى «تحتمس الرابع»^{٧٢} ورابع أمير في هذه القائمة اسمه لا يمكن التحقق منه.

وعلى الجدار الخلفي كانت توجد صورة للإله «أوزير». وعلى الجدار الأيسر مُثِّل المتوفى واقفاً ومعه أخته، وقد نقش فوقهما: «التعب لك يا رب الأبدية، يا «أوزير» يا حاكم الخلود لروح «أوزير» مقدم العمال في مكان الصدق «أنحور خعوي» المرحوم أبدياً، وأخته ربة البيت مغنية «آمون رع» ملك الآلهة، «وعبت» المبرأة، وابنه ومحبوبه الخادم في بيت مكان الصدق «قننور» المبرأ، وابنه «حورامس»، وابنه «أنحور خعوي»، وابنه «باثري». وعلى الجهة اليسرى يشاهد المتوفى وزوجه يتسلمان القربان من أولادهما، وتحتوي على أزهار ومرآة وأدوات أخرى، وقد كتب فوق الرجل وزوجه ما يأتي: ««أوزير» مقدم العمال في مكان الصدق، ومدير الأعمال في «الأفقين بيت الأبدية» وصانع تماثيل الآلهة كلها في بيوت الذهب «أنحور خعوي» المبرأ، وأخته ربة البيت، ومغنية آمون «وعبت» المبرأة وأمهمها ذكرت أسماء أبنائهما وبناتهما، وهي ابنه محبوبه خادم مكان الصدق «قنن حور» المبرأ أبدياً، وابنه خادم مكان الصدق «حورامس» المبرأ، وأخته «شري رع»، وابنته «توي» (?) وابنته «تاوحت»، وابنته «نفرتاري محب» المبرأة، وابنته «مرسجرت»

^{٧٢} كتب لقب هذا الفرعون في الأصل خطأ، ولكن شواهد الأحوال تدل على أنه «تحتمس الرابع».

وأخته ... محبوبته ... وأخته «نغرتاري» المبرأة وابنته محبوبته «نبومحب» المبرأة، وابنته محبوبته «تابدت إن» المبرأة.

وعلى اليسار من ذلك يجلس المتوفى وزوجه في محراب وأمامهما روحان في صورة طائرین، وعلى اليسار متن مؤلف من أحد عشر سطرًا عمودية تبتدئ هكذا: «قربان يقدمه الملك «لرع» و«أنحور» و«تحت» و«ماعت» و«ونفر» رب الغفران، وللثلاثين بحارًا أتباع «حور» و«لحور» لأجل القربان، وللإله «حقاوت رجو» و«سيا» ليجعلوني أدخل إلى ساحة الثلاثين، وأصير إلهًا بين الثلاثين بحارًا، وأصير بالقرب من «محن» (الثعبان العظيم الذي يكون مع إله الشمس في سياحته في عالم الآخرة).

وبعد ذلك نشاهد المتوفى يجلس إلى مائدة قربان وأمامه نقش ذكر فيه اسمه واسم زوجته وابنه «حورامس»، ثم يتلو ذلك من جهة اليسار: المتوفى جالسًا وأمامه نقش آخر بعضه مهشم ذكر فيه بعض أولاده وألقابهم. وممن لم يرد ذكرهم قبل ذلك: ابنه خادم مكان الصدق «حونرا» المبرأ.

وفي الصف الأسفل من هذا يظهر أولاً من جهة اليسار من كومة قمح المتوفى وزوجه صورة طفل من نبات القمح الذي أخرج شطأه، ويصحب هذا المنظر المتن التالي: ««أوزير» مقدم العمال في بيت الصدق في طيبة الغربية، ومدير الأعمال في الأفقيين أبدياً «أنحور خعوي» المبرأ، وزوجه ربة البيت الممدوحة من «حتحور»، و«عبت» المبرأة، وابنها محبوبها «أنحور خعوي» المرحوم الذي يسمى «أريو» المبرأ.

وعلى اليسار من صورة المتوفى وزوجه يشاهد أحد أبنائهما يقدم القربان ومعه المتن التالي: «ابنه كاهن رب الأرضين «حقا ماعت رع ستبن» (رعمسيس الرابع) معطي الحياة «آمون حرععب» ... «سيتي» ... حامل الصاجات في بيت الصدق «بامحدق» المبرأ، وابنه «نب أمنت» المبرأ، وابنه رسام بيت الصدق «مين حور» المبرأ.

وعلى اليمين يجلس ثانياً المتوفى وزوجه وأمامهما اثنان آخران من أولادهما يقربان:

(١) إطلاق البخور من يد ابنه خادم مكان الصدق «آمون محب رع»، وأخته ربة البيت «حنت شنو» المبرأة، وابنه «تترامنت».

(٢) «أوزير» مقدم بيت الصدق «أنحور خعوي» المبرأ، وأخته ربة البيت «وعبت»، ووالدها «أوزير» مقدم بيت الصدق «آتي» (؟) والده مقدم بيت الصدق ... (؟)